الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ
رقم: .....

الإصلاح السياسي في أطروحات رواد النهضة العربية الحديثة: عبد الرحمان الكواكبي أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ: تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر

من إعداد الطالبة:
- السعدية لعمارة

بإشراف الأستاذ:
- عبد القادر خليفي

اسم ولقب الخبير	الرتبة	الصفة	المؤسسة
حسين محمد الشريف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة المسيلة
عبد القادر خليفي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة
بلال كشيدة	أستاذ محاضر (أ)	مناقشا	جامعة المسيلة

السنة الجامعية : 1445- 1446هـ/ 2024-2025 م

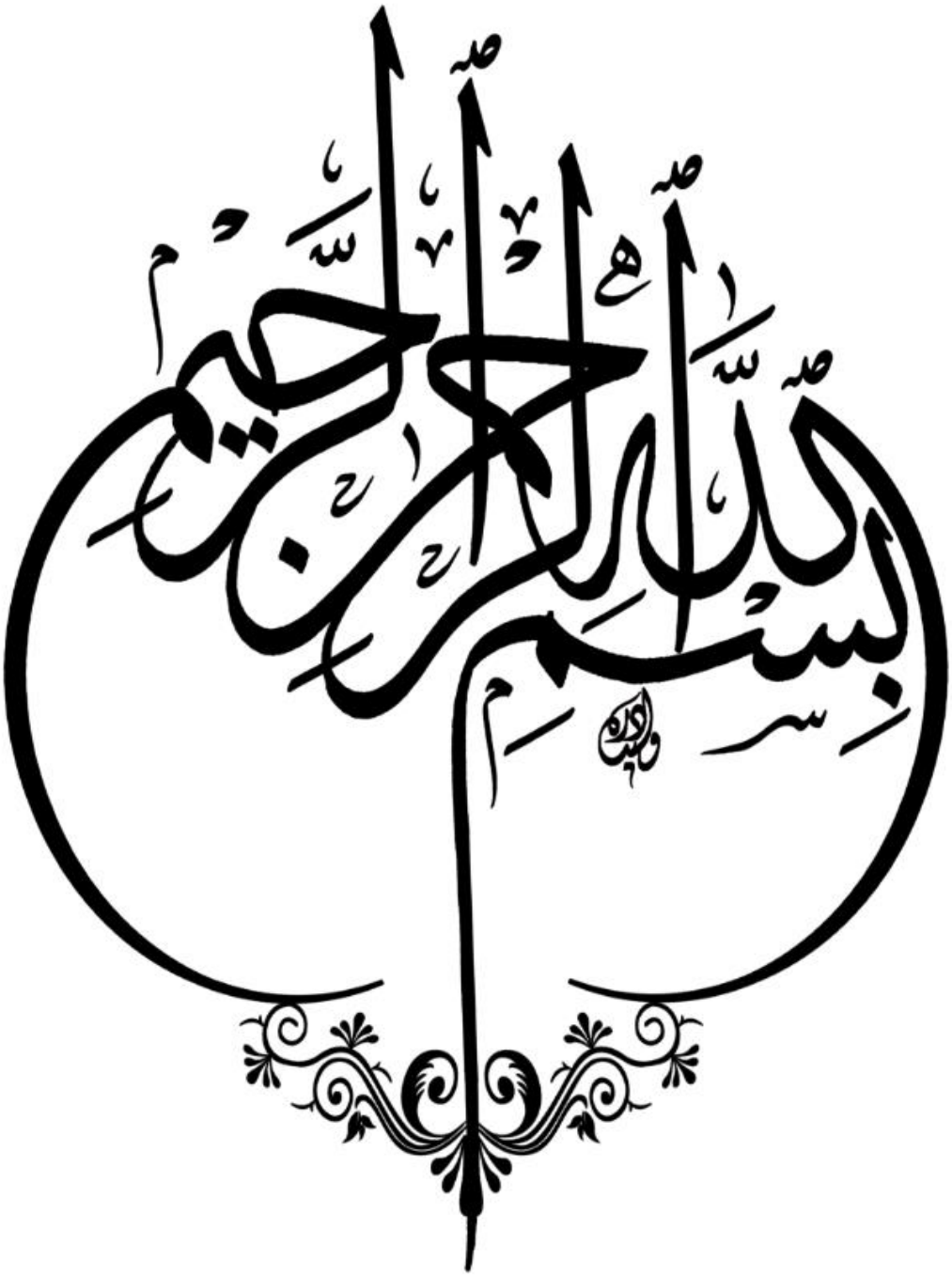
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الإصلاح السياسي في طروحات رواد النهضة العربية الحديثة عبد الرحمان الكواكبي نموذجا (1902-1848)

إعداد الطلبة:

1- عمارة السعدية رقم التسجيل: 202035079224

2- ..... رقم التسجيل: .....

القسم: التاريخ **الشعبة:** .....

التخصص: وطني عربي معاصر

إشراف: خليفي عبد القادر **الرتبة:** أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: **2024 / 2025** وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الأستاذ المشرف: صواتقا أ.د. عبد القادر خليفي

رئيس فريق الاختصاص:

رئيس القسم: قسم التاريخ

Scanné avec CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2024
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): لعمارة السعدية

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 119991008000180

الصادرة بتاريخ : 2023_12_24 عن دائرة : الشلال

المسجل(ة) بكلية: العلوم الانسانية و قسم: التاريخ

تخصص: وطن عربي معاصر تحت رقم التسجيل: 202035079224

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج ليسانس، مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الاصلاح السياسي في أطروحات رواد النهضة العربية الاخوان الكواكبي أنموذجا (1900_1848)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2025_10_14

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

Scanné avec CamScanner

الإهداء

إلى أبي الذي علمني القوة رغم غيابه

وإلى أختي التي تركت في قلبي فراغا لا يملأ

أهديكما فرحة تخرجي لتكون شاهدة على أنكما ما زلتما النور الذي يقود خطاي

رحمكما الله واسكنكما فسيح جنانه

إلى أمي الحبيبة أنت النور الذي أنار دربي، والروح التي منحتني الأمل

أهديك فرحة تخرجي عرفانا بجميلك ووفاء لعظيم تضحياتك

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقني لانجاز هذا العمل

واعترافا لأصحاب الفضل بفضلهم يسعدني أن أتوجه بخالص الشكر وجميل الامتنان إلى أستاذي المشرف " الأستاذ الدكتور عبد القادر خليفي " لما بذله من نصائح علمية قيمة وإرشادات منهجية رصينة، وعلى ما أحاطني به من تشجيع وتحفيز، مما كان له الأثر الطيب في نفسي، وأسهم في تذليل عديد الصعوبات التي واجهتني.

كما أشكر جميع أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ على ما بذلوه من مرافقة وتأطير طيلة مساري الأكاديمي بالجامعة.

مقدمة

مقدمة

يحتل الإصلاح السياسي موقعًا محوريًا في تاريخ الأمم والشعوب، إذ شكّل دائمًا نقطة تحول فاصلة بين فترات الجمود والانحطاط من جهة، ومراحل النهوض والتجديد من جهة أخرى، فكل تجربة حضارية ناجحة ارتبطت بقدرتها على مواجهة أزماتها الداخلية عبر مشاريع إصلاحية تستجيب لمتطلبات الواقع، وتفتح أمام المجتمع آفاقًا جديدة.

وفي هذا السياق، يبرز دور المفكرين والمصلحين في الوطن العربي الذين أسهموا بعقولهم وأفكارهم في تشخيص مواطن الخلل واقتراح رؤى بديلة لتجاوز عوامل التخلف، فقد كانت كتاباتهم بمثابة منارات فكرية استرشدت بها الشعوب في مسارها نحو التحرر والتقدم، ورافعة أساسية لمشاريع النهضة التي شهدها المنطقة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولعل من بين هؤلاء المفكرين الذين تركوا بصماتهم جلية، كان عبد الرحمان الكواكبي، الذي مثّل صوتا إصلاحيا بارزا، جمع بين عمق التحليل السياسي وجرأة الطرح الفكري، فواجه الاستبداد بوصفه أصل كل فساد، وسعى إلى تأسيس نهضة شاملة قوامها الوعي والحرية والعدل، ومن هنا تأتي أهمية دراسة رؤيته الإصلاحية، ليس فقط لفهم سياقها التاريخي، بل أيضًا لاستجلاء دلالاتها المتجددة في مواجهة الأزمات السياسية والاجتماعية الراهنة التي يعيشها عالمنا العربي اليوم، وهذا ما حاولنا الوقوف عليه في بحثنا الذي وسمناه: الإصلاح السياسي في أطروحات رواد النهضة العربية: عبد الرحمن الكواكبي أنموذجا.

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة عن السؤال المحوري :كيف قدم عبد الرحمان الكواكبي رؤيته للإصلاح السياسي؟ وما مدى تأثيرها في الفكر العربي؟

ويتفرع عنه جملة تساؤلات على النحو الآتي:

– من يكون الكواكبي؟ وما خصائص البيئة الاجتماعية التي عاش فيها؟ وفيم تتمثل العوامل التي صقلت شخصيته؟

–ما هي مرتكزات أفكاره الإصلاحية؟

–إلى أي مدى أثرت أطروحاته في مسار الفكر العربي الحديث والمعاصر؟

–أسباب اختيار الموضوع:

لقد جاء اختياري لهذا الموضوع مجالا للبحث لعدة أسباب متداخلة؛ يأتي في طليعتها قناعتي بأن شخصية عبد الرحمن الكواكبي تمثل علامة بارزة في مسار الفكر الإصلاحي العربي الحديث، إذ كان من القلة الذين تناولوا قضية الاستبداد السياسي بشكل مباشر، وجعلوا منها الأساس لأي إصلاح ممكن، كما أن واقعنا العربي الراهن، بما يحمله من أزمات سياسية واجتماعية متجددة، يمنح العودة إلى أفكاره قيمة عملية تساعد على فهم جذور هذه الإشكاليات المستمر.

كما أن دراسة هذا الموضوع تتيح فرصة للتعمق في نصوص الكواكبي وتحليلها، خاصة وأن بعض مؤلفاته مثل طبائع الاستبداد لا تزال تُستحضر إلى اليوم في النقاشات الفكرية والسياسية، مما يعكس أصالة طرحه.

–أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة بالأساس إلى فهم مشروع عبد الرحمان الكواكبي الإصلاحي من خلال تتبع أفكاره وتحليل سياقها التاريخي والفكري. ومن أبرز الأهداف التي تسعى إليها:

–تحليل الأدوات والوسائل التي اقترحها الكواكبي لمواجهة الاستبداد وتحقيق الإصلاح السياسي.

–توضيح أثر أفكاره في الفكر العربي الحديث وقياس مدى استمرار تأثيرها في النقاشات الفكرية والسياسية المعاصرة.

–الإسهام في إثراء الدراسات الأكاديمية التي تربط بين الفكر النهضوي في القرن التاسع عشر وقضايا الواقع العربي اليوم.

مناهج البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على منهجين أساسيين يكمل أحدهما الآخر:

المنهج الوصفي : وقد وظفته في معرفة سيرة عبد الرحمان الكواكبي وظروف عصره السياسية والاجتماعية والفكرية، ووصف أهم محطات حياته وأبرز مؤلفاته، مع تتبع السياق التاريخي الذي نشأ فيه فكره الإصلاحي.

المنهج التحليلي: وقد اعتمدته لتحليل النصوص التي تركها الكواكبي، لاسيما في كتابيه طبائع الاستبداد وأم القرى، بغرض الكشف عن رؤيته في الإصلاح السياسي، وبيان دلالات أفكاره وأبعادها الفكرية والاجتماعية، ثم ربطها بتأثيرها في مسار الفكر العربي الحديث.

وصف لأهم المصادر والمراجع

في الواقع فإن الكتابات التي عالجت حياة وفكر الكواكبي متعددة ومتنوعة، وقد رافقني في بحثي هذا الكثير منها، يتقدمها مؤلفات الرجل الشهيرة طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، وأم القرى، وهي تلخص فكره ونظرته للقضايا السياسية والإصلاحية، فكانت عمودا أساسيا في دراستي.

كما وظفت مراجع مختلفة، من بينها ما عرضه الباحث محمد عمارة تحت عنوان، عبد الرحمان الكواكبي: الأعمال الكاملة، وكتاب أنور الجندي الموسوم، أعلام وأدباء النهضة العربية،والدراسة القيمة التي قدمها فهمي جدعان بعنوان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، حيث حلل فيها أفكار النهضويين العرب ومشاريعهم الإصلاحية.

الصعوبات المعترضة:

واجهت هذه الدراسة جملة من الصعوبات، من أبرزها:

-الطابع الأدبي لفكر الكواكبي، إذ تميزت كتاباته بلغة بلاغية وأسلوب إنشائي ، مما جعل تحليل نصوصه يتطلب جهدًا إضافيًا لفهم المعاني العميقة، والتمييز بين الطابع الأدبي والمضمون الفكري والسياسي.

-قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت فكر الكواكبي بعمق مقارنة بمفكري النهضة الآخرين، مما صعّب عملية المعالجة.

-تعرض مسودة الفصل الأول للضياع لدى المكلف بالرقن بإحدى المكتبات في غياب نسخة احتياطية منها، مما جعلني أعيد تحرير الفصل من البداية، الأمر الذي انعكس سلبا على نفسيتي وكاد يثنيني عن مواصلة العمل، وأسهم بالتالي في تمديد آجال الإيداع.

خطة البحث:

لقد قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث تناول الفصل الأول الذي جاء بعنوان بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي ملامح البيئة التي عاش فيها الكواكبي في كل من الشام ومصر، من أوضاع سياسية متأزمة نتيجة ضعف الدولة العثمانية وتدخل القوى الاستعمارية، مرورًا بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة، وصولًا إلى الحالة الثقافية والفكرية التي شهدت بوادر النهضة العربية.

وتحت عنوان حياة عبد الرحمن الكواكبي خصصت الفصل الثاني لتتبع مسيرة الكواكبي منذ نشأته في حلب، مرورًا بمساره التعليمي والمهني، وتجربته في الصحافة، وعلاقاته الفكرية والاجتماعية كما سلطت الضوء على العوامل التي ساهمت في بلورة شخصيته الفكرية، سواء من خلال أسرته أو محيطه الثقافي أو الأحداث السياسية التي عايشها.

وعالجت في الفصل الثالث الذي وسمته أطروحته في الإصلاح السياسي مضمون مشروعه الإصلاحي، خاصة أفكاره حول الاستبداد، الشورى، الإصلاح الديني والسياسي، كما ناقشت الأدوات التي اعتمدها لنشر فكره مثل الصحافة والكتابة، ودرست مدى تأثير أفكاره في مسار الفكر العربي الحديث ، وحدود حضور إسهاماته في النقاشات الفكرية والسياسية المعاصرة.

وأنهيت الموضوع بخاتمة رصدت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذا العمل المتواضع، ودعمته ببعض الملاحق، وفي الختام أجدد شكري وتقديري للأستاذ المشرف، وأرجو أن تكون هذه المساهمة البسيطة إضافة للمكتبة التاريخية.

الفصل الأول

بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي

الفصل الأول: بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي

شهدت بلاد الشام ومصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولات عميقة مست جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، برزت هذه التحولات في ظل ضعف الدولة العثمانية وتزايد التدخل الاجنبي خاصة الاوروبي في شؤون المنطقة، وعاشت المجتمعات تحت وطأة الاستبداد والفساد الاداري مما ولد حالة من التذمر الشعبي والنقاشات الفكرية حول سبل الإصلاح، في هذا السياق نشأت حركات فكرية اصلاحية حاولت فهم اسباب التخلف واقتراح بدائل للنهوض، وكان عبد الرحمان الكواكبي من ابرز المفكرين الذين تفاعلوا مع هذا الواقع. فقد عايش الاوضاع عن قرب وتأثر بها ووجه نقدا حادا للاستبداد والدين المسيس، سنحاول في هذا الفصل رصد ملامح المرحلة التي عاش فيها الكواكبي لفهم العوامل التي شكلت فكره ومواقفه.

المبحث الأول: الواقع السياسي والاقتصادي.

في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كان الواقع السياسي والاقتصادي في بلاد الشام ومصر يمر بمرحلة عصيبة من التحولات والتغيرات العميقة. كانت هذه المنطقة تحت سلطة الدولة العثمانية التي بدأت تفقد قوتها ونفوذها، بينما بدأت القوى الاستعمارية الأوروبية تسعى لبسط سيطرتها الاقتصادية والسياسية عليها.

في مصر، حاول الحاكم محمد علي آنذاك وضع أسس الدولة الحديثة متحديا الحكم العثماني، غير أنه واجه مشاكل كثيرة من بينها الديون الخارجية.

أما في بلاد الشام، فكانت المجتمعات تعاني من الفساد الإداري والظلم الاجتماعي، حيث كانت الطبقة الحاكمة بعيدة عن واقع المجتمع، ما أدى لبروز الحاجة إلى إصلاحات شاملة تطال مختلف جوانب الحياة. في هذا السياق، برز مفكرون مثل عبد الرحمان الكواكبي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني الذين حاولوا تشخيص أسباب التخلف واقتراح حلول للنهوض بالأمة، ركز عبد الرحمان الكواكبي على محاربة الاستبداد السياسي وإعادة بناء النظام التعليمي والقضائي ليكون أكثر عدالة وإنصافا. إلا أنه اصطدم بواقع سياسي واقتصادي معقد، ولمحاولة فهم كيف كان الوضع السياسي والاقتصادي في بلاد الشام ومصر في عصر عبد الرحمان الكواكبي ارتأيت أن أقسم هذا المبحث إلى مطلبين، حيث سأتطرق إلى النظام السياسي في بلاد الشام ومصر في عصر عبد الرحمان الكواكبي في المطلب الأول، بينما في المطلب الثاني سأتطرق إلى الوضع الاقتصادي السائد في عصر الكواكبي ببلاد الشام ومصر.

المطلب الأول: النظام السياسي.

كان النظام السياسي في بلاد الشام ومصر في عصر عبد الرحمان الكواكبي، يعاني من تدهور كبير نتيجة الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية وازدياد نفوذ القوى الاستعمارية. في مصر، كانت البلاد تعيش تحت حكم الخديويين الذين اعتمدوا سياسات اقتصادية أدت إلى زيادة الديون الخارجية وتزايد التدخل الأجنبي، مما قلل من استقلال القرار الوطني.

أما في بلاد الشام، فكان الحكم العثماني يفرض سلطته بشكل مباشر، لكنه كان يعاني من الفساد الإداري والمحسوبية، مما أدى إلى تفشي الفقر والظلم الاجتماعي. برزت في تلك الفترة دعوات الإصلاح السياسي التي طالبت بمحاربة الاستبداد وإعادة بناء المؤسسات على أسس أكثر عدالة. الكواكبي نفسه كان من أبرز المفكرين الذين حللوا هذه الأوضاع، حيث ركز على أهمية إصلاح الحكم وإشراك الناس في إدارة شؤونهم. وقد انعكس هذا الواقع على ظهور حركات وطنية مطالبة بالإصلاح والتحرر من النفوذ الأجنبي.

حكم العثمانيون الأتراك العالم العربي بداية من مطلع القرن السادس عشر، واستمر حكمه طيلة ثلاث قرون وكان العالم العربي في عزلة عن العالم الخارجي، فأوروبا عرفت نهضة معرفية وعلمية وأدبية كبيرة، بالإضافة إلى الكشوفات الجغرافية والحركات الاستعمارية، وشهدت أيضا ثورة صناعية وسياسية امتدت وحتى الاجتماعية التي غيرت أوروبا وطورتها، لكن العرب إبان الحكم العثماني كانوا منغلقين عن أنفسهم فلم يعرفوا الاختراع ولا التطور ولا التقدم[1]

لم يكن حكم أكثر العثمانيين حكما مشجعا على الإنتاج المعرفي، "ولم يسوسوا الأمم سياسة عادلة و كانوا شجعانا مقاتلين، ولم يكن أغلبهم ساسة عادلين عنوا بالحرب أكثر ممن عنوا بالإرادة ونظم الحكم، ومهرو في الفتح أكثر مما مهروا في إقامة صرح العلم ومقابلة السير بالحضارة، فزاد العالم

[1] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب، في عصر النهضة، 1798، 1914**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص 11.

الإسلامي تدهورا على توالي الأزمان، ظلمة حالكة ومحنة شاملة وجهل مطبق وظلم فادح وفقر مدقق" مما أدى إلى تفكك الدولة العثمانية وانحلال الولايات العربية وظهور التمرد على السلطة المركزية[1]

خلال حكم العثمانيين تميز العالم العربي بانعزاله عن العالم، فلم تكن لهم أي اتصالات مع باقي الدول ولاسيما الأوروبية وهذا ما جعل العرب يتأخرون في المجال الثقافي العلمي الصناعي وحتى السياسي، وتدهور الوضع أكثر في أواخر القرن التاسع عشر من مصر والشام إلى العراق والحجاز[2].

يعتبر نظام السلطة والحكم لدى العثمانيين أحد أسباب التدهور السريع لدى العرب إبان تلك الحقبة، حيث كان حكما مركزيا بيروقراطيا بامتياز، سأحاول التطرق إلى طبيعة الحكم والهيكل الإداري للسلطة العثمانية لفهم طبيعة حكم العثمانيين للشام ومصر.

1- نظام السلطة في بلاد الشام:

في الفترة من 1850 إلى 1900، كان نظام السلطة في بلاد الشام يتبع بشكل رئيسي الهيكل الإداري للدولة العثمانية، مع بعض الخصوصيات المحلية التي تميزت بها المنطقة. يمكن تلخيص تسلسل السلطة الهرمي على النحو التالي:

- **السلطان العثماني:** كان يمثل القمة العليا للنظام السياسي، حيث كان السلطان هو الحاكم الأعلى للإمبراطورية، يتمتع بسلطة دينية وسياسية باعتباره خليفة المسلمين وزعيم الدولة[3].
- **ولاة الشام (الباشوات):** تحت إمرة السلطان، كان الذين عُينوا من قبل السلطان وأداروا الشؤون السياسية والإدارية والعسكرية في كل ولاية من ولايات بلاد الشام مثل دمشق وحلب.[4]

---

[1] أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب العربي،بيروت، دط، د.ت، ص6.

[2] مصطفى حسيبة . المعجم الفلسفي ،ص218

[3] عبد الله محمد علي. **الدولة العثمانية: تاريخها السياسي والإداري** . دار العلم للملايين،بيروت، 2008، ص23.

[4] محمد الخطيب، **بلاد الشام في العهد العثماني**، دار الفكر، دمشق 1995، ص111.

- **المتصرفون المحليون (قائم مقام ومتصرف)**: لعبو دورا مهما في إدارة المناطق الأصغر داخل الولاية، مثل القرى والمدن الصغيرة.[1]
- **شيوخ العشائر وأعيان المدن**: على المستوى المحلي، كانوا حلقة الوصل بين الإدارة العثمانية والمجتمعات المحلية، وكان لهم نفوذ كبير في حل النزاعات وجمع الضرائب.[2]

2- نظام السلطة في مصر

في الفترة من 1850 إلى 1900، شهدت مصر تغيرات كبيرة في نظام السلطة نتيجة للتحولات السياسية والاقتصادية التي مرت بها البلاد. يمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل رئيسية: عهد الخديوية العثمانية، فترة الاحتلال البريطاني، وبداية ظهور الحركات الوطنية.

أ – عهد الخديوية العثمانية (حتى 1882): بعد حكم **محمد علي باشا**[3] وأبنائه، استمرت الأسرة العلوية في إدارة مصر تحت لقب "الخديوي"، الذي كان يُعتبر حاكمًا مستقلاً نسبيًا لكنه اعترف بالولاء للدولة العثمانية.[4] كان النظام السياسي يتسم بالتسلسل الهرمي التالي:

- **الخديوي**: يمثل القمة العليا للسلطة، وكان يتمتع بسلطات شبه مطلقة، حيث كان يدير الشؤون السياسية والإدارية والعسكرية.[5]
- **المجلس النظاري** :مجلس استشاري ضم كبار الموظفين والوزراء، لكنه لم يكن له صلاحيات تنفيذية حقيقية.[6]

---

[1] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص112.

[2] زركلي خير الدين، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** . دار العلم للملايين، بيروت،2002، ص173.

[3] محمد علي باشا (1769–1849) مؤسس مصر الحديثة، تولى الحكم عام 1805. عُرف بإصلاحاته في الجيش والإدارة والتعليم والاقتصاد، مما جعل مصر نواة لدولة مركزية حديثة.

[4] أحمد عبد الرحمان، **تاريخ مصر الحديث** ، دار المعارف، القاهرة، 1990، ص45

[5] طه محمود. **الإصلاحات الإدارية في مصر في عهد محمد علي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص78.

[6] عباس محمود العقاد، **حياة محمد علي الكبير**،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ص112.

- **المسؤولون المحليون** :مثل المديرين الإداريين في الأقاليم (المتصرفون)، الذين كانوا مسؤولين عن تنفيذ السياسات المركزية.
- **الشرائح الاجتماعية الدنيا** :الفلاحون والتجار والحرفيون، الذين تحملوا العبء الأكبر من الضرائب بسبب السياسات الاقتصادية الطموحة التي أثقلت كاهلهم.[1]

ب- فترة الاحتلال البريطاني : بداية من 1882

بدأ الاحتلال البريطاني لمصر رسميًا عام 1882 بعد **الثورة العرابية**[2]، مما أدى إلى تغيير جذري في نظام السلطة. أصبحت مصر دولة خاضعة للنفوذ البريطاني، مع استمرار وجود الخديوي كرمز شكلي للحكم.[3] تسلسل السلطة في هذه الفترة كان كالتالي:

- **المندوب السامي البريطاني** :كان يمثل القوة الحقيقية وراء الحكم، حيث سيطر على القرارات السياسية والاقتصادية الكبرى[4].
- **الخديوي** :أصبح دوره شكليًا، حيث كان عليه التوقيع على القرارات التي تمليها السلطات البريطانية.
- **الحكومة المصرية** :تضمنت وزراء وموظفين مصريين، لكنهم كانوا يعملون تحت إشراف وإملاءات المندوب السامي[5].
- **المجالس المحلية** :مثل مجالس المحافظات والمدن، التي كانت تلعب دورًا هامشيًا في الإدارة المحلية.

---

[1] غنيم عبد الرحمان. **الاحتلال البريطاني لمصر: دراسة تاريخية** . دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص205.

[2] لثورة العرابية (1881–1882) حركة وطنية قادها أحمد عرابي ضد التدخل الأجنبي والسلطة المطلقة للخديوي توفيق. هدفت للمطالبة بالعدالة الدستورية والمساواة، لكنها انتهت بالاحتلال البريطاني لمصر.

[3] عبد الله محمد. **مصر تحت الاحتلال البريطاني**،دار الشروق، القاهرة، 1992، ص89.

[4] المرجع نفسه، ص89.

[5] المرجع نفسه، ص90.

اتسم الواقع السياسي في بلاد الشام ومصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحالة من التوتر والاضطراب الناتج عن تداخل عدة قوى سياسية، على رأسها السلطة العثمانية المركزية من جهة، والقوى الاستعمارية الأوروبية من جهة أخرى. فقد كانت بلاد الشام لا تزال تابعة للدولة العثمانية، ولكنها كانت تعاني من ضعف الإدارة وتفاقم الاضطرابات الطائفية والانقسامات الداخلية، خصوصًا في مناطق مثل جبل لبنان، الذي عرف صراعات دموية بين الموارنة والدروز، تغذت من السياسات العثمانية القائمة على مبدأ «فرّق تسد» والتدخلات الأجنبية التي ادعت حماية الأقليات[1].

أما مصر، فقد كانت أكثر تقدمًا نسبيًّا على المستوى السياسي، بفضل النهضة[2] التي قادها محمد علي باشا منذ أوائل القرن التاسع عشر، حيث سعى إلى بناء دولة قوية ذات طابع عصري من خلال تحديث الجيش والإدارة والتعليم، وإن بقيت السيادة الاسمية للدولة العثمانية قائمة. غير أن هذا المشروع تعرض لتراجع تدريجي بعد وفاته، حتى بلغ ذروته بالاحتلال البريطاني لمصر سنة 1882، بعد فشل الثورة العرابية، مما جعل مصر خاضعة لسيطرة خارجية فعلية رغم الاحتفاظ بالواجهة العثمانية[3].

وفي هذا السياق السياسي المشحون، نشأ المفكر الإصلاحي عبد الرحمان الكواكبي (1855-1902) في مدينة حلب، إحدى كبريات حواضر الشام. وقد شهد بعينيه مظاهر الظلم والاستبداد العثماني، لا سيما القمع الإداري والتهميش السياسي الذي طال العرب في بلاد الشام، وسلبهم حقهم في المشاركة في تسيير شؤونهم. وقد انعكس هذا الوعي المبكر على كتاباته فيما بعد، خاصة في

[1] عبد الكريم، **خالد: تاريخ بلاد الشام في العصر العثماني**، دار النفائس، بيروت، 2005، ص. 213.

[2] النهضة هي حركة تاريخية وثقافية ظهرت في أوروبا بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، تميزت بإحياء العلوم والفنون والفكر الإنساني بعد العصور الوسطى. وتمثل رمزًا للتجديد والتقدم وانتقال المجتمعات نحو الحداثة

[3] الجوهري أحمد: **الاستعمار البريطاني في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص. 87.

كتابه "طبائع الاستبداد"، حيث ربط بين تأخر المجتمعات الإسلامية واستفحال ظاهرة الحكم المطلق، مشددًا على أن "الاستبداد أصل كل فساد، ومصدر كل انحطاط"[1].

لقد تميزت الدولة العثمانية في أواخر عهدها بنظام مركزي قائم على الولاء للسلطان لا على الكفاءة، وكان الولاة يعينون في أقاليم الشام ومصر بناءً على المصالح السياسية لا الاعتبارات المحلية، ما جعلهم غرباء عن شعوبهم، قليلين الاهتمام بشؤونهم، وأكثر ميلاً إلى جمع الضرائب وممارسة القمع. وقد كان لذلك أثر بالغ في إذكاء الشعور القومي العربي، خاصة لدى النخب المثقفة التي بدأت تدعو إلى إصلاحات دستورية وإدارية[2].

ويجدر بالذكر أنّ الكواكبي لم يكن من الداعين إلى الثورة العنيفة أو استخدام القوة المسلحة كوسيلة للتغيير، بل اتخذ موقفًا إصلاحيًا عقلانيًا ينبع من إيمانه العميق بأن النهضة الحقيقية لا تتحقق إلا من خلال تغيير الوعي الجمعي للأمة. لقد رأى أن الشعوب لا يمكن أن تتحرر من الاستبداد إلا إذا أدركت أولًا ماهية حقوقها وواجباتها، وتسلحت بالمعرفة والفكر النقدي، لا بالسلاح والدماء. من هذا المنطلق، كان مشروع الكواكبي مشروعًا تنويريًا بامتياز، يقوم على تفكيك بنية الاستبداد من الداخل، من خلال كشف آلياته النفسية والاجتماعية والدينية، والدعوة إلى نهضة عقلية وروحية تقود إلى التحرر السياسي.

ولعل هذا التوجه الإصلاحي السلمي هو ما يمنح مشروع الكواكبي تفرّده وتميزه عن غيره من رواد الإصلاح في عصره، ممن ركزوا إما على الإصلاح الديني فقط أو على الثورة السياسية العنيفة. فالكواكبي قدّم مقاربة شاملة لمشكلة الاستبداد، متجاوزًا الظواهر السطحية إلى الجذور البنيوية التي تجعل من الاستبداد نظامًا مترسخًا في الثقافة والمجتمع. ويمكن القول، دون مبالغة، إنّ كتاباته تمثل

[1] عبد الرحمان الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، دار الفكر، دمشق، 2006، ص. 17.

[2] الرافعي عبد الرحمان، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص. 233.

وثيقة سياسية مبكرة، ذات طابع تنبّؤي، تُحذّر من مغبة الانقياد الأعمى للسلطة المطلقة، وتدعو إلى إعادة بناء العقد الاجتماعي على أسس من الحرية والعدالة والمشاركة السياسية.

ومن خلال كتابه الأشهر طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، وضع الكواكبي تصورًا متكاملًا للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، بيّن فيه كيف أن الاستبداد يُفسد كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والدينية، مؤكدًا أن تحرير الإنسان من الاستعباد السياسي لا ينفصل عن تحريره من الجهل والخرافة والتواكل. وهكذا، فإن الكواكبي لا يُعد مجرد مفكر سياسي، بل رائدًا من رواد النهضة العربية الذين سعوا إلى بلورة وعي جديد، تكون الحرية السياسية فيه مدخلًا لتحقيق التقدم الحضاري الشامل

المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي.

عاش عبد الرحمان الكواكبي (1855-1902) في فترة شهدت تحولات اقتصادية كبيرة في مصر والشام نتيجة لسياسات الإصلاح العثمانية والتدخل الأوروبي المتزايد. تميز الوضع الاقتصادي في الإقليمين بالتوسع في الزراعة التجارية، تزايد الضرائب، انتشار الديون، وسيطرة القوى الأجنبية على مفاصل الاقتصاد.

سعت الدولة العثمانية إلى تحديث الاقتصاد في مصر والشام من خلال تطبيق "التنظيمات" التي شملت إصلاحات في الضرائب، الملكية الزراعية، والتجارة. هذه الإصلاحات كانت تهدف إلى زيادة العائدات المالية للدولة لكنها أدت إلى إرهاق الفلاحين بسبب الضرائب المرتفعة والمركزية المتزايدة في الإدارة.

طغى على الاقتصاد المصري في هذه الفترة ازدياد النفوذ الأجنبي في البنوك والمصانع والمتاجر[1]. في حين كان يمثل القطن عصب الاقتصاد المصري هبط سعره هبوطا جسيما على آثر الحرب العالمية الأولى إلى ما يعادل 1.60 جنية مصري، وكان سعره قبل الحرب 4 جنيهات.[2] ازدادت الأزمة

[1] الرافعي عبد الرحمان، **ثورة 1919: تاريخ مصر القومي من سنة 1919 إلى سنة 1921**، ط4، دار المعارف، 1987، ص89.

[2] المرجع نفسه، ص89.

الاقتصادية بعد رفض البنوك التسليف على القطن، وبدأت البنوك العقارية المطالبة بأقساطها، واستعمال الحكومة القسوة في جمع الضرائب.[1] أدى الوضع إلى لجوء الكثيرين إلى بيع أقطانهم بأدنى سعر (1.20 ج)، كذلك بيع المصوغات والماشية والاستدانة من المرابين لسداد بقية المال المطلوب.[2] أصدرت لجنة بورصة الإسكندرية قرارا في 6 ديسمبر 1914 بتحديد سعر أدني لعقود تصدير القطن بـ2.5 جنية تقريبًا، تفاديًا لهبوط سعره لأقل من هذا المستوى، لكن ألغي العمل بالقرار في 6 سبتمبر من نفس العام.[3] بلغ ثمن محصول القطن عام (1914) 16.5 مليون جنية في حين كان عام (1913) 29.14 مليون جنية.[4] في 2 أغسطس 1914، أصدرت الحكومة مرسومًا ينص على أن "أوراق البنكنوت الصادرة من البنك الأهلي تكون لها نفس القيمة الفعلية للنقود الذهبية المتداولة رسميا، وسمح للبنك بإرسال رصيده الذهبي إلى لندن وإعفاء الأوراق النقدية من الغطاء الذهبي.[5] منحت الحكومة علاوة للموظفين لواجهة الغلاء، فزادت من دخلها لتعويض العجز، فتم رفع أجور النقل بالسكك الحديدية بـ50% ليصل مقدار الزيادة لـ100 %،[6] احتكرت الحكومة البريطانية محصول القطن عام 1917 بسعر أقل من السعر الحقيقي، وألغت عقود التصدير وحصرتها في عدد محدود من شركات التصدير الأجنبية، كذلك عام 1918 وحدد سعر شرائه بـ 7 جنيهات تقريبًا، وكان سعر الشراء الفعلي من أصحاب الأقطان 5.3 جنية[7]، في حين كان السعر العالمي 10.6 جنية، وبلغت خسارة مصر في هذا العام من القطن 32 مليون جنية.

[1] محروس عاصم، **دور الطلبة في ثورة 1919** .الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1990، ص16

[2] الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص89.

[3] المرجع نفسه، ص90.

[4] المرجع نفسه، ص91.

[5] محروس عاصم، المرجع السابق، ص16.

[6] المرجع نفسه، ص16.

[7] محروس عاصم، المرجع السابق، ص17.

-الزراعة والتجارة والصناعة

عرفت الحالة الاقتصادية في بلاد الشام ومصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تدهورًا كبيرًا، ارتبط أساسًا بسياسات الدولة العثمانية من جهة، وبالهيمنة الاقتصادية الأجنبية من جهة أخرى. فقد كانت البلاد تحت وطأة نظام مالي غير عادل، يعتمد على الضرائب الباهظة المفروضة على الفلاحين والتجار الصغار، مقابل امتيازات تمنح للأجانب والطبقات المرتبطة بالسلطة.

في بلاد الشام، أدى ضعف الإنتاج الصناعي والزراعي إلى تفاقم الأوضاع المعيشية، خصوصًا في الأرياف، حيث كانت الأراضي مملوكة لكبار **الإقطاعيين**[1]، بينما عاش الفلاحون في ظروف شديدة القسوة. وقد زادت الاتفاقيات التجارية التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية – المعروفة باسم "اتفاقيات الامتيازات الأجنبية" – من اختلال الميزان التجاري، إذ أغرقت الأسواق بالبضائع الأوروبية، مما قضى على الصناعات المحلية التقليدية وأفلس الكثير من الحرفيين[2].

أما في مصر، فقد شهدت البلاد نوعًا من التحديث الاقتصادي في عهد محمد علي، عبر بناء مشاريع زراعية وصناعية وتنظيم الجباية، إلا أن هذه الإصلاحات كانت موجهة أساسًا لخدمة الدولة المركزية، لا لتحسين أحوال المواطنين. ومع تزايد الديون الخارجية، اضطر **الخديوي إسماعيل** [3]إلى رهن جزء من السيادة الاقتصادية لصالح الدائنين الأوروبيين، حتى أصبحت مصر في قبضة النفوذ المالي البريطاني والفرنسي، وهو ما مهد لاحقًا للاحتلال البريطاني سنة 1882[4].

كان الاقتصاد المصري معتمدًا بشكل شبه كلي على الزراعة، خاصة محصول القطن الذي ارتفع الطلب عليه خلال الحرب الأهلية الأمريكية، مما أغرى الحكام بتوسيع الرقعة المزروعة به على حساب

[1] الإقطاعيون هم طبقة من ملاك الأراضي الواسعة الذين كانوا يسيطرون على الأرض والفلاحين في ظل النظام الإقطاعي. تميزوا بنفوذ اقتصادي واجتماعي كبير

[2] الصويص سامي، **الاقتصاد العثماني في بلاد الشام**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص. 141.

[3] الخديوي إسماعيل (1830–1895) هو حاكم مصر بين 1863 و1879، عُرف بمشروعه لتحديث البلاد وبمشروعات عمرانية كبرى أبرزها افتتاح قناة السويس. لكنه أغرق مصر في الديون مما أدى لتزايد النفوذ الأجنبي وعزله عن الحكم

[4] الجوهري أحمد: **الاستعمار البريطاني في مصر**، مرجع سابق، ص. 105.

التنوع الزراعي والأمن الغذائي. ومع انخفاض أسعار القطن لاحقًا، دخل الاقتصاد في أزمة عميقة أثقلت كاهل الدولة بالديون وأضعفت قدرتها على إدارة شؤونها باستقلالية[1].

وقد انعكست هذه الأوضاع الاقتصادية المتردية على الحياة اليومية للناس، حيث انتشرت البطالة والفقر، وظهرت الفوارق الطبقية بشكل صارخ، وتراجعت القدرة الشرائية للغالبية، بينما تراكمت الثروات في أيدي فئات قليلة مقربة من السلطة أو مرتبطة بالمستعمر. وقد لاحظ الكواكبي هذا الخلل، فاعتبر أن الاستبداد لا يكتفي بإذلال الأفراد سياسيًّا، بل يمتد إلى سرقة أقواتهم وتدمير اقتصادهم، قائلاً: "المستبد يسرق أموال الأمة بدعوى المحافظة عليها، ويقتل أبناءها بزعم الدفاع عنهم، ويخرب البلاد بحجة تعميرها"[2].

من خلال هذه النظرة النقدية العميقة، عبّر عبد الرحمان الكواكبي عن وعي اقتصادي متقدم سابق لعصره، يُظهر إدراكه الجلي للترابط البنيوي بين الفقر والبؤس المعيشي من جهة، والاستبداد السياسي من جهة أخرى. لقد فهم الكواكبي، بحدس المفكر الإصلاحي، أن الظلم السياسي لا يأتي منفصلًا عن أشكال الاستغلال الاقتصادي، بل إن الاستبداد غالبًا ما يتغذى على سياسات الإفقار والتهميش التي تُضعف المجتمعات وتمنعها من المطالبة بحقوقها أو السعي لتغيير أوضاعها.

ففي كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، لم يتوقف الكواكبي عند نقد الحكام الطغاة أو تسليط الضوء على الفساد السياسي، بل تجاوز ذلك إلى تشريح الآثار الاقتصادية للاستبداد، مشيرًا إلى كيف أن الحاكم المستبد يحتكر الثروات، ويمنع فرص النمو الاقتصادي العادل، ويقمع المبادرات الفردية والجماعية، ما يؤدي إلى تجميد حركة الإنتاج وحرمان الشعوب من أبسط مقومات العيش الكريم. فالاستبداد، في نظره، لا يُفسد السياسة فحسب، بل يُخرّب الاقتصاد، ويزرع ثقافة الاتكالية والجهل والفقر، ويحول دون بناء طبقة وسطى فاعلة تُشكل أساسًا لأي مشروع نهضوي.

[1] فاطمة حسين، **مصر في عصر الخديوي إسماعيل**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص. 89.

[2] عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص. 45.

وقد كان الكواكبي واعيًا تمامًا إلى أن التحرر السياسي لا يمكن أن يتحقق في ظل استمرار الهيمنة الاقتصادية، سواء من قبل السلطة المستبدة داخليًا أو من القوى الأجنبية التي تستغل موارد البلاد عبر تحالفها مع النخب الحاكمة. ولهذا، دعا إلى ما يمكن تسميته اليوم بـ"التحرر الاقتصادي السيادي"، الذي يهدف إلى فك الارتباط بين مصالح الشعب ومصالح الحكام المتنفذين، وخلق اقتصاد وطني عادل يوزع الثروة على نحو يضمن الكرامة والعدالة الاجتماعية.

إن هذا الربط بين الإصلاح السياسي والعدالة الاقتصادية يُبرز مدى شمولية فكر الكواكبي، ويؤكد أنه لم يكن مجرد ناقد للاستبداد السياسي في حدّه الضيق، بل كان مفكرًا يُدرك طبيعة العلاقات المعقدة بين السلطة والثروة، بين التهميش المادي والاستعباد المعنوي، ويدعو إلى مشروع تحرري متكامل تُبنى فيه الأمة على أساس من العدالة، والوعي، والكرامة الإنسانية

-التأثيرات الخارجية على الاقتصاد

يعتبر القرنين الثامن عشر بداية الهيمنة الأوروبية على العديد من المناطق الخاصة للدولة العثمانية، حيث بدأ الأجانب استعمال الامتيازات والتسهيلات التي منحتها لهم الدولة فراحوا بواسطة قناصلهم ورعاياهم يتدخلون في الشؤون الداخلية للدولة[1]، فصار لكل من فرنسا وبريطانيا وروسيا نفوذا كبيرا من خلال رعايا **الكاثوليك والبروتستانت** [2]والروم الأرثوذكس على التوالي وغدت قيودا طوقت عنق الدولة ولقد أساء ممثلو القوى العظمى استخدام هذه الامتيازات وتوسعوا فيها وتجلى في إدخال الآلاف من نصارى الدولة تحت حمايتهم وإعطاء بعضهم الجنسيات الأوروبية.[3]

[1] قاري ياسر بن عبد العزيز محمود، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية** ،أطروحة دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ، السعودية،2001ص.17

[2] الكاثوليك والبروتستانت فرقتان مسيحيتان رئيسيتان. الكاثوليك يتبعون بابا الفاتيكان ويتميزون بطقوس تقليدية وهرمية كنسية صارمة، أما البروتستانت فظهروا في القرن السادس عشر رفضًا لسلطة البابا، ويؤكدون على حرية الفرد في تفسير الكتاب المقدس.

[3] المرجع نفسه، ص17.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية.

في عصر عبد الرحمان الكواكبي، أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شهدت مصر والشام تحولات اجتماعية وثقافية كبيرة نتيجة التفاعل مع الأفكار الحديثة والاستعمار الأوروبي. في مصر، كانت هناك نهضة ثقافية واضحة مع انتشار التعليم الحديث وإنشاء المدارس والجامعات، مثل جامعة القاهرة، مما ساهم في تشكيل طبقة مثقفة جديدة. كما ظهرت الصحافة بشكل لافت، وكانت منبرًا لنشر الأفكار الإصلاحية والوطنية.

في الشام، خاصة في مدن مثل دمشق وحلب، كانت هناك حركة فكرية نشطة تدعو إلى الإصلاح والتجديد، متأثرة بالاتصال مع أوروبا وبالتراث الإسلامي.

على الصعيد الاجتماعي، كانت المجتمعات في مصر والشام تعاني من تفاوت طبقي واضح، حيث كانت النخبة الحاكمة والملاك الكبار يسيطرون على الثروة والسلطة، بينما عانت الطبقات الفقيرة من الفقر والبطالة. ومع ذلك، بدأت تظهر حركات اجتماعية تدعو إلى العدالة والمساواة، متأثرة بالأفكار الليبرالية والاشتراكية التي كانت تصل من أوروبا.

أما ثقافيا، شهدت هذه الفترة ازدهارا في الأدب والفنون، مع ظهور أسماء لامعة مثل رفاعة الطهطاوي في مصر وجمال الدين الأفغاني في الشام، الذين دعوا إلى تجديد الفكر الإسلامي والانفتاح على الحضارة الغربية. كانت هذه الفترة بمثابة جسر بين التراث القديم والحداثة، مما أثر بشكل كبير على التطورات اللاحقة في المنطقة.

سنتناول في هذا المبحث البنية الاجتماعية في مصر والشام في عصر عبد الرحمان الكواكبي وذلك في المطلب الأول، بينما في المطلب الثاني سنتطرق إلى الحياة الفكرية والثقافية في مصر والشام في عصر عبد الرحمان الكواكبي.

المطلب الأول: البنية الاجتماعية.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت البنية الاجتماعية في مصر والشام تتميز بتركيبة هرمية تقليدية، حيث كانت النخبة الحاكمة والملاك الكبار تحتل القمة، يليها طبقة من التجار وأصحاب الحرف، ثم الفلاحون والعمال الذين شكلوا الغالبية العظمى من السكان. في مصر، كان النظام الاجتماعي يتأثر بشكل كبير بالسيطرة العثمانية ثم التدخل الأوروبي، خاصة بعد افتتاح قناة السويس عام 1869، مما أدى إلى زيادة الفجوة بين الطبقات بسبب تركز الثروة في أيدي الأقلية. وفي الشام، كانت المدن الكبرى مثل دمشق وحلب مركزًا للنخب الدينية والتجارية، بينما كانت الأرياف تعاني من الإهمال والفقر.

مع ذلك، بدأت تظهر تحولات اجتماعية نتيجة التأثر بالأفكار الحديثة والاتصال بالغرب، حيث برزت طبقة وسطى جديدة من المثقفين والموظفين الذين تلقوا تعليمًا حديثًا. هذه الطبقة لعبت دورًا مهمًا في الدعوة إلى الإصلاحات الاجتماعية والسياسية، مما أثر على الحركات الوطنية اللاحقة. ومع ذلك، ظل الفلاحون والعمال يعانون من الاستغلال وغياب العدالة الاجتماعية، مما خلق بيئة خصبة للاضطرابات والثورات في العقود التالية.

-الطبقات الاجتماعية

كان تأثير الحضارة العثمانية ضعيفا اجتماعيا لذلك حافظ العرب على اللغة العربية و على تقاليدهم وعاداتهم إلا أن سوء الوضع الصحي أدى إلى انتشار الأمراض وزيادة عدد الوفيات وتناقص السكان كما، كثرت غارات البدو على القرى والمدن، و انتشرت العصابات. وقد انقسم المجتمع إلى عدد من الطبقات الاجتماعية (الحكام، الإقطاعيين، أصحاب العصبات ورؤساء العشائر، العلماء، الطوائف غير الإسلامية، طبقة عامة الشعب).[1]

[1] محمد بن عبد الله عودة، المرجع السابق، ص38.

-أوضاع المرأة والتعليم والحقوق والحريات العامة

أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون تغيرت الدولة العثمانية كثيرا وظهر ذلك وتجلى بين المجتمع، فأهمل التعليم، وشاعت الأمية، وشاعت الأمية، وضعف شأن اللغة العربية، واقتصر التعليم على الكتاتيب التي تعلم القرآن و عض مبادئ القراءة والكتابة والحساب ومع ذلك فقد أسهمت المساجد وبعض دور العلم الاسلامية كالجامع الأزهر في مصر[1]، وكان من مظاهر ضعف الحياة الفكرية انتشار الطرق الصوفية، وقد ادى ذلك الى ظهور بعض الحركات الاصلاحية الاسلامية لإعادة الاسلام الى مصدره الحقيقي الكتاب والسنة، وقد لعبت هذه الحركات دورا كبيرا في الحياة السياسية و الروحية في الوطن العربي، خصوصا في مصر والشام.[2]

أما الحريات والمرأة فكانت حالتهما ليست بأفضل من حالة المجتمع أو الدولة العثمانية، ففي عام 1876 تولى **السلطان عبد الحميد** [3]الحكم وهي فترة تميزت بانهيار للحقوق والحريات، وهي الفترة ذاتها التي عاش عبد الرحمان الكواكبي الجزء الأكبر من عمره على عهد هذا السلطان، وهو ما شكل جزءا من فكره المناهض للاستبداد والداع للحرية والحقوق.[4]

المطلب الثاني: الحياة الثقافية والفكرية.

في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، شهدت مصر والشام حراكًا ثقافيًا وفكريًا لافتًا في ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي فرضتها الهيمنة الغربية. كانت القاهرة ودمشق وبعض المدن الأخرى مراكز إشعاع فكري، حيث انتشرت الجمعيات الأدبية والعلمية، وازدهرت الصحافة كوسيلة لنشر الأفكار الجديدة.

---

[1] محمد فريك بك المحامي، **تاريخ الدولة العلوية العثمانية، تحقيق: احسان تقي**، دار النفانس، بيروت، ط1، 1981، ص744.

[2] محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص39.

[3] السلطان عبد الحميد الثاني (1842–1918) هو آخر السلاطين العثمانيين الأقوياء، حكم بين 1876 و1909. عُرف بتمسكه بالسلطنة المطلقة وسياسة "الجامعة الإسلامية"، لكنه واجه ضغوطًا داخلية وخارجية انتهت بعزله.

[4] محمد عبد الرحمان برج، ، **أعلام العرب، عبد الرحمان الكواكبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972، ص21.

برزت في تلك الفترة أسماء بارزة مثل عبد الرحمان الكواكبي الذي كان من أبرز المصلحين الاجتماعيين الذين ناقشوا قضايا الاستبداد والفساد. كما لعبت المدارس الحديثة والبعثات التعليمية دورًا كبيراً في نقل الأفكار الغربية إلى المنطقة، مما ساهم في بلورة تيارات فكرية جديدة. وقد أدى ذلك إلى ظهور حركات إصلاحية دعت إلى تحديث التعليم، وتحرير المرأة، وإعادة النظر في العلاقة بين الدين والدولة. كانت المساجد والمنتديات الثقافية أماكن لتجمع المثقفين والمصلحين لمناقشة القضايا الوطنية والاجتماعية. وكانت اللغة العربية محورًا للنقاش حول التجديد الثقافي، حيث دعا البعض إلى تبسيطها وتيسيرها لمواكبة متطلبات العصر.

كما شهدت تلك الفترة ترجمة العديد من الأعمال الغربية في الفلسفة والسياسة والعلوم، مما ساعد على توسيع آفاق الفكر العربي. وفي خضم هذا الحراك، برزت محاولات لمقاومة الهيمنة الأجنبية عبر التركيز على الهوية العربية والإسلامية.

-الوضع العام للحياة الثقافية والفكرية.

شهدت الحياة الثقافية والفكرية في بلاد الشام ومصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطورًا ملحوظًا واستثنائيًا، تزامن مع ما أصبح يُعرف في الأدبيات التاريخية بـ"عصر النهضة العربية" أو "النهضة الفكرية الحديثة"، وهي نهضة متعددة الأبعاد شملت مجالات الفكر والأدب واللغة والدين والاجتماع والسياسة، وجاءت كرد فعل طبيعي ومركّب على الانحطاط الحضاري الذي كانت تعيشه المجتمعات العربية في ظل الجمود العثماني، والانحسار التدريجي لدور العلماء والمثقفين، والتراجع الاقتصادي والتعليمي، وغياب المؤسسات الفاعلة.

وقد جاءت هذه النهضة أيضًا استجابة لاحتكاك العالم العربي بالثقافة الغربية الحديثة، خاصة مع تزايد البعثات التعليمية إلى أوروبا، ودخول المطبعة إلى العالم العربي، وانتشار المدارس التبشيرية والعلمانية، وتطور الصحافة العربية، التي لعبت دورًا مركزيًا في نشر الأفكار الجديدة وتوسيع دائرة النقاش العمومي. وقد شكّلت هذه الوسائل الحديثة نوافذ اطلع من خلالها المفكرون العرب على

مفاهيم حديثة مثل الحرية، والدستور، وفصل السلطات، والمواطنة، وحقوق الإنسان، مما ولّد حراكًا فكريًا ونقديًا واسعًا.

كما ساهمت التحولات الجيوسياسية في المنطقة، ولا سيما ضعف الدولة العثمانية وتزايد التدخلات الأوروبية، في خلق مناخ من القلق والتحفيز الفكري، دفع العديد من المفكرين إلى إعادة التفكير في أسباب التأخر العربي وسبل النهوض. وقد كان لهذه المرحلة رموز بارزة، مثل رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأفغاني، وعبد الرحمان الكواكبي، وغيرهم، ممن سعوا إلى المزج بين الأصالة والحداثة، وإعادة تأويل التراث في ضوء التحديات الجديدة.

لقد مثّل عصر النهضة في المشرق العربي لحظة مفصلية في تاريخ الوعي العربي، حيث بدأ يتشكل خطاب فكري نقدي، يهدف إلى تحرير العقل من القيود التقليدية، ويدعو إلى إصلاح ديني وسياسي وثقافي شامل. وبالرغم من التحديات التي واجهها هذا المشروع النهضوي، فإن آثاره امتدت لتشكل الأساس الفكري للحركات الإصلاحية والوطنية التي ظهرت في العقود اللاحقة، وما تزال الكثير من أسئلته مطروحة إلى اليوم.

في بلاد الشام، برزت مراكز فكرية مهمة مثل بيروت ودمشق وحلب، حيث نشطت حركة الترجمة والتأليف، وظهرت الصحف والمجلات التي شكلت منابر حرة للنقاش حول قضايا الإصلاح والدين والنهضة. وقد ساهم المثقفون المسيحيون والمسلمون على حد سواء في إثراء هذا المناخ، ومنهم بطرس البستاني، ناصيف اليازجي، **وفرح أنطون**[1]، الذين سعوا إلى إحياء اللغة العربية وبناء مشروع ثقافي عربي حديث. كما أن تأسيس المدارس الحديثة، مثل "المدرسة الوطنية" في بيروت، وظهور جمعيات ثقافية سرية وشبه علنية، ساعد في نشر التعليم وبث الوعي العام[2].

[1] فرح أنطون (1874–1922) مفكر وكاتب لبناني من رواد النهضة العربية. عُرف بدعوته إلى **التسامح الديني** وإصلاح التعليم، ونشر مقالاته عبر الصحافة لفتح حوار بين الثقافة العربية والفكر الغربي.

[2] يوسف ناصر، **النهضة الثقافية في بلاد الشام**، دار الأوائل، دمشق، 2003، ص. 57.

أما في مصر، فقد استفادت من مشروع التحديث الذي بدأه محمد علي، خاصة في مجال التعليم، حيث أُرسلت بعثات علمية إلى فرنسا، وتم تأسيس المدارس النظامية والمطبعة الأميرية، وترجمة الكتب العلمية والأدبية من اللغات الأوروبية. وكان لظهور الصحافة دور محوري في توسيع دائرة النقاش الثقافي، مثل جريدة "الوقائع المصرية"، ومجلات مثل "الهلال" و"المقتطف"، التي ساهمت في نشر المعرفة العلمية والفكر التنويري بين فئات أوسع من المجتمع[1].

وفي ظل هذا الحراك الثقافي، برز عبد الرحمان الكواكبي كمفكر حرّ وصاحب مشروع إصلاحي عميق. فقد جمع بين ثقافة دينية تقليدية اكتسبها من مدارس حلب الشرعية، وثقافة مدنية حديثة اكتسبها من انخراطه في العمل الصحفي ومتابعته للحركات الفكرية المعاصرة. وقد أسس صحيفة "الشهباء"، ثم "الاعتدال"، اللتين كانتا منبرًا له لطرح أفكاره المناهضة للاستبداد والداعية إلى النهضة السياسية والاجتماعية[2].

تميّز الكواكبي بفكر نقدي تحليلي، لم يكتف بوصف الواقع بل سعى لتفكيكه وفضح علله، وخاصة الاستبداد بوصفه آفة كبرى. وقد دعا إلى تحرير العقل من القيود الموروثة، وإلى إصلاح ديني يعيد النظر في العلاقة بين السلطة والدين. كما آمن بأن النهضة لا تتحقق إلا إذا ارتبطت بالعلم، والحرية، والتربية الأخلاقية. لقد تجاوز الكواكبي في كتاباته الطابع الإنشائي الذي كان سائدًا لدى الكثير من الكُتّاب، ليتجه نحو تحليل الظواهر من منظور اجتماعي وسياسي عميق.[3]

إنّ أهمية عبد الرحمان الكواكبي لا تنحصر في عمق أفكاره ورؤاه الفكرية، بل تمتد إلى أسلوبه الأدبي والفكري المتميز، الذي شكّل في حدّ ذاته أداة إصلاحية قوية ومؤثرة. فقد استطاع الكواكبي أن يطوّع اللغة العربية توظيفًا بالغ الذكاء، حيث جمع في كتاباته بين البلاغة الواضحة والطرح الجريء والسخرية اللاذعة التي كانت في كثير من الأحيان غطاءً نقديًا ساخرًا يعري الواقع السياسي

[1] الشاذلي محمود، **النهضة الفكرية في مصر الحديثة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ص. 122.

[2] عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص. 12.

[3] أبو ريدة، حسن، عبد الرحمان الكواكبي: **فكره السياسي والاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص 67.

والاجتماعي من دون أن يصطدم مباشرة بالسلطة. إنّ هذا المزج بين الشجاعة والدهاء في التعبير، بين التلميح والتصريح، منح كتاباته قدرة على تجاوز الرقابة السياسية، وفي الوقت نفسه، منحها قوة اختراق للوعي العام، فكان قارئه يشعر أنه معنيّ بكلماته، وأنه شريك في مشروع الإصلاح لا مجرّد متلقٍّ للأفكار.

لقد تميز الكواكبي بلغة تكسر الجفوة التقليدية بين الكاتب والقارئ، حيث استطاع أن يخاطب القارئ العادي دون تسطيح، ويُرضي المثقف دون تعقيد. هذه "المعادلة الذهبية" في الأسلوب جعلته صوتًا حقيقيًا للنهضة، ومفكرًا شعبويًا بالمعنى الإيجابي للكلمة، أي أنه كتب للمجتمع، لا للنخب فقط. كما أن توظيفه للسخرية لم يكن مجرد أداة أسلوبية، بل كان موقفًا نقديًا واعيًا، يستخدم فيه التهكم لفضح تناقضات الاستبداد وخرافاته، دون الوقوع في خطاب عدمي أو تهكمي سلبي. لقد سخّر الكواكبي لغته لخدمة مشروعه الفكري، فجعل من الكلمة أداة مقاومة ورافعة للوعي، ووسيلة لإعادة بناء علاقة الفرد بالسلطة وبنفسه.

وعلى مستوى التأثير، لا يمكن النظر إلى الكواكبي كمجرد مفكر نهضوي من جيل التأسيس، بل يجب اعتباره حجر زاوية في البناء الفكري العربي الحديث، إذ كانت أفكاره بمثابة مداخل تأسيسية لعدد من الأسئلة الكبرى التي لا تزال تشغل الفكر العربي حتى اليوم، مثل: العلاقة بين الدين والسياسة، حدود السلطة، مفهوم الحرية، دور النخبة، طبيعة الدولة، وشروط النهضة. وقد سبق في رؤاه العديد من التحليلات التي ظهرت لاحقًا في سياقات أكثر حداثة، ما يجعل منه مفكرًا استشرافيًا بامتياز.

ولم يكن تأثيره قاصرًا على محيطه الزماني والمكاني، بل إن صدى أفكاره استمر في الظهور ضمن أعمال كثير من المفكرين والمصلحين العرب الذين جاؤوا بعده، مثل محمد عبده، وشكيب أرسلان، وطه حسين، وساطع الحصري، وغيرهم، ممن انطلقوا من قضايا مشابهة لأسئلته الجوهرية. ويمكن القول إن إرث الكواكبي لم يكن فقط في ما كتبه، بل في ما ألهمه من اتجاهات فكرية ومشاريع نهضوية سعت إلى تفكيك بنية الاستبداد وبناء ثقافة الحرية.

إنّ الكواكبي كان، بلا مبالغة، مفكرًا نهضويًا شاملًا، لم يكن أسيرًا لعصره، بل كان سابقًا له، فكرًا وأسلوبًا وطرحًا. وإذا كانت النهضة العربية قد عرفت أسماء لامعة في مختلف الحقول، فإن الكواكبي يمثل الضمير الحر فيها، والمثقف العضوي الذي نذر قلمه وعقله من أجل **التنوير**[1]، وتحمّل في سبيل ذلك التهديد والنفي وربما حتى التصفية الجسدية. وإذ نعيد اليوم قراءة نصوصه، فإننا لا نقرأ الماضي فحسب، بل نعيد فتح جراح الحاضر، ونستعيد صوتًا لا يزال يحاورنا، وينبّهنا إلى أن الاستبداد ليس قدرًا، بل حالة يجب تفكيكها، تمامًا كما دعا الكواكبي قبل أكثر من قرن.

الحركات الفكرية في مصر والشام.

بدأت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر نهضة ثقافية في الوطن العربي بعد فترة طويلة من الركود الفكري وقد تجلت هذه النهضة في ازدياد المدارس الحديثة التي يقودها معلمون متنورون وانتشار الطباعة والصحافة وكثرة الجمعيات الأدبية والعلمية، وقد طرح الفكر الغربي في بدء حركة النهضة هذه جملة من التساؤلات تتصل بطبيعة التناقضات السياسية في حياة الغرب وواقعهم وقد شملت الإجابة بظهور عدة نزعات فكرية وسياسية واجتماعية أهمها:

- **النزعة الدينية – الاصلاحية:** مثلها الرواد جمال الدين الأفغاني ورفاعة رافع الطهطاوي ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وتلاميذهم والسيد محمد سعيد الحبوبي وابو الثناء الألوسي.
- **النزعة الدينية:** التي مثلها عبد الرحمان الكواكبي في كتابيه (طبائع الاستبداد) و (ام القرى)

نتجت عن هذه النزعات الفكرية حركات ومذاهب سياسية بألوان كثيرة، من مصر إلى الشام، واختلفت توجهات هذه الحركات السياسية والدينية والفكرية وحتى الانفصالية، كانت اتجاهات المصلحين وأفكارهم أهم محرك ودافع لبروز هذه الحركات.

ومن أبرز رواد الحركات الإصلاحية نذكر:

– رفاعة الطهطاوي (1801 / 1871 م):

[1] التنوير هو حركة فكرية وثقافية برزت في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. قامت على تمجيد العقل والحرية والعلم، ورفض الجهل والاستبداد، مما مهد لقيام الثورات والإصلاحات الحديثة.

أطلق عليه المؤرخون لقب زعيم" النهضة "الثقافية في مصر خلال القرن التاسع عشر، نشأ في الأزهر وتعلم العلوم الدينية وصحب البعثة العلمية الأولى إلى باريس في عام 1826م، وكان إماما لطلبة البعثة يؤمهم في الصلاة ويرشدهم فانبهر بالحضارة الأوروبية فعكف على دراسة اللغة الفرنسية[1] واستفادت منه مصر بعد عودته من فرنسا في مجالات التعليم والترجمة، وألف كثيرا من الكتب كان يخصص منها الفصول الطوال للتحدث عن الوطن والوطنية[2].

– أحمد فارس الشدياق (1804 / 1887م) :

ينحدر من لبنان وهو من أوائل الرجال الذين كان لهم دور في التثقيف والتوجيه والتنوير والإصلاح في القرن التاسع عشر اهتم باللغة العربية أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر وعالج مشاكل اجتماعية عديدة، وخلال حياته في أوروبا قارن بين الحياة الأوروبية والحياة الشرقية ففضل الأولى لأنه على حسب رأيه أن الأوروبيين منظمون ومجتهدون وتجمعهم وحدة اجتماعية ويتربى أولادهم تربية حسنة خلافا لحالة الإهمال التي يعانيها الأولاد في الشرق[3].

– ناصيف اليازجي (1800 / 1871 م):

من أصل لبناني، ويعد رائد لحركة "إحياء اللغة العربية"، استقر في مسقط رأسه بيروت، من أجل تدريس هذه اللغة واقتصر اهتمامه بها على أسلوب التعبير الأدبي، وكان يهدف إلى جعل اللغة العربية أداة صالحة للتعبير عن الحياة والأفكار في العالم الحديث، ولم يكن يتقن من اللغات إلا العربية وأسهم في إقامة النهضة العربية الحديثة بما ألفه ونظمه من كتب وقصائد.[4]

---

[1] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798–1914)**، ط3، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص22.

[2] عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (1516–1922)**، دار النهضة، بيروت، 1984 صص 141-143.

[3] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، صص420-428.

[4] جرجي زيدان، **تراجم مشاهير شرق في القرن 19**، ج 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012 . ص 321.

– جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897 م): مفكر إسلامي وناشط سياسي، يعتبر من مؤسسي حركة الحداثة الإسلامية وأحد دعاة الوحدة الإسلامية في القرن التاسع عشر، كما أنه زار دول العالم الإسلامي ومدن أوروبا واستقر أخيرا في إسطنبول وتوفي فيها، أقام جمال الدين في القاهرة ثماني سنوات (1871 / 1879م)[1]، تحت نظام فردي استبدادي لعائلة محمد علي باشا" متمثلة في "الخديوي إسماعيل" ، شاهد مصر تترنح تحت ضغط الديون وتدخل القوى الاستعمارية أنين المصريين تحت سياط السخرة التي حولت عرقهم ودمائهم إلى ذهب يتراكم في خزائن الخديوي، وفي هذه الأجواء انغمس الأفغاني في معترك الحياة السياسية والفكرية وساهم في بلورة مطالب الحركة الوطنية المصرية الوليدة لتحرير الشعب من مستبديه عن طريق إقامة أنظمة حكم حديثة لها دستور ومجلس نيابي يمثل الشعب.[2]

وقد فتح الأفغاني باب الاجتهاد الموصدة لتحرير العقول وتنقية الدين من الأفكار التي تجعله متضاربا مع العلم، فضلا عن دوره الرائد في إيجاد صحافة سياسية حرة تعبر عن مطالب الحركة الوطنية وتنفيذ استبداد الخديوي وقد أدى الأفغاني الدور نفسه في كل البلاد العربية التي أقام فيها، لذلك استحق لقب "باعث النهضة في الشرق".[3]

محمد عبده (1266) – 1323هـ / 1849 – 1905م):

عالم دين وفقيه ومجدد إسلامي مصري، عد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، ساهم بعد لقائه أستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء

[1] حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث**، دار الجيل، بيروت، 1986، ص 77.

[2] المرجع نفسه، ص 77.

[3] نرمين خفاجي، **تعاليم السيد جمال الدين في وجوب إصلاح الدنيا والدين**، مجلة الحوار المتمدن، ع 2596 الإطلاع 02-06-2025، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=166569

حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري وإعادة إحياء الأمة الإسلامية لتواكب متطلبات العصر.[1]

– قاسم أمين (1863/ 1908م):

فقيه ومحدث مصري وأحد مؤسسي الحركة الوطنية وجامعة القاهرة ،وهو من عائلة أمراء الأكراد قدموا إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل" "باشا"، وتثقف في مدارس الحكومة المصرية وكان حاد الذكاء وبعد إتمام دراسته توجه إلى أوروبا لمواصلة التعليم العالي، فدرس الحقوق في فرنسا وعند عودته إلى مصر عام 1885م عين وكيلا لنائب العام الخاص بمحكمة مصر ودعا إلى النهضة والإصلاح.[2]

دور الصحافة والتأليف في عصر الكواكبي

أدت الصحافة والمجلات دورا بارزا في تشكيل فكر عربي جديد والترويج له بين المجتمعات، فطانت المنبر الذي ينشر من خلاله الادباء والمفكرين أفكارهم، فظهرت في القرن التاسع عشر ميلادي صحيفة الوقائع في مصر والأخبار في لبنان والفرات في حلب[3]، كما صدرت بعض المجلات التي اهتمت بشؤون الإسلام والمسلمين مثل "نور الإسلام"، و"المنار"، و"الهدي النبوي"، و"مجلة الأزهر"، وغيرها من المجلات التي ساهمت في نشر الثقافة العربية وساهمت في ظهور الطباعة.[4]

حيث ظهرت الطباعة في القرن الثامن عشر ميلادي، وساهمت في طبع الكثير من المخطوطات العربية القديمة مثل المطبعة العسكرية ومطبعة بولاق في مصر عام 1822 والتي أنشأها محمد علي وكان لهما دورا مهما في النهضة.[5]

---

[1] محمد زكريا توفيق "الإمام" **محمد عبدة رائد من رواد الإصلاح والنهضة المصرية الحديثة** "، صحيفة الحوار المتمدن ، ع 3182 ،مصر ، 11/11/2010. تاريخ الإطلاع 10-02-2025 https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234871

[2] جرجي زيدان المرجع السابق، ص 323

[3] محمد عبد الله عودة، مرجع سابق، ص123.

[4] جميل بيضون، **تاريخ العرب الحديث**، ط1، دار الأمل، الأردن، 1992، ص115.

[5] محمد عبد الله عودة، المرجع السابق، ص 124.

الفصل الثانـي

حياة عبد الرحمان الكواكبي

الفصل الثاني: حياة عبد الرحمان الكواكبي

يعد عبد الرحمان الكواكبي من أبرز الشخصيات الفكرية والسياسية في العالم العربي خلال أواخر القرن التاسع عشر. جمع بين العمل الصحفي والنشاط الفكري والسياسي، فكان صوتا ناقدا للاستبداد وداعيا إلى الإصلاح. ارتبطت حياته بالأحداث الكبرى التي شهدتها المنطقة العثمانية، ما جعله شاهدا وفاعلا في التغيرات الاجتماعية والسياسية في عصره. شكلت بيئته الأولى وتجربته في الصحافة والعمل العام قاعدة متينة لصياغة أفكاره، وأسهمت كتاباته في إلهام تيارات فكرية لاحقة. دراسة حياته تكشف مسارات فكره وتطور مواقفه، وتوضح الظروف التي أحاطت بمسيرته حتى وفاته.

المبحث الأول: النشأة والتكوين العلمي

ولد عبد الرحمان الكواكبي في أسرة عرفت بالعلم والمكانة الاجتماعية، ما وفر له بيئة مناسبة لتلقي العلوم الدينية واللغوية في سن مبكرة. تلقى تعليمه الأولي في المدارس التقليدية التي كانت تعتمد على القرآن والفقه واللغة العربية، ثم توسع اطلاعه من خلال مخالطة العلماء والمفكرين في حلب. ساعده محيطه العائلي والعلمي على تكوين شخصية فكرية مبكرة، وفتح أمامه أبواب المعرفة في مجالات متعددة كالفقه والأدب والسياسة. هذا التكوين المتنوع كان الأساس الذي انطلق منه في نشاطه الفكري والإصلاحي لاحقا.

المطلب الأول: مولده ونشأته الاجتماعية

جاء مولد عبد الرحمان الكواكبي في مدينة حلب خلال فترة شهدت تفاعلات سياسية واجتماعية مهمة في الدولة العثمانية. نشأ في أسرة ذات مكانة علمية واجتماعية، ما مكنه من الاحتكاك بطبقة المثقفين والعلماء منذ صغره. كانت حلب آنذاك مركزا تجاريا وثقافيا بارزا، الأمر الذي أتاح له التعرف على تيارات فكرية متعددة من داخل وخارج العالم العربي. هذا المناخ الاجتماعي والثقافي أسهم في تكوين شخصيته، ومنحه الوعي المبكر بالقضايا العامة ومشكلات المجتمع.

-أصوله العائلية

اختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الذي ولد فيه "عبد الرحمان الكواكبي"، فقد ورد عن محمد عمارة في كتابه شهيد الحرية، أنه ولد في حلب عام 1854[1]، أما في كتاب زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين، فقد ورد أن بعض الأوراق تشير إلى أن تاريخ ميلاد عبد الرحمان الكواكبي الحقيقي هو سنة 1848م[2]، لكن ولده أسعد الكواكبي يوضح هذا الأمر بأن والده قام بتغيير تاريخ ميلاده في الأوراق الرسمية، حتى يتاح له الترشح في الانتخابات في حلب ليتمكن من مقاومة العثمانيين[3]

غير أن بعض المؤرخين والباحثين الذين كتبوا في حياة عبد الرحمان الكواكبي، ذكروا أنه ولد في 23 شوال سنة 1271هـ الموافق 9 يوليو 1855 في مدينة حلب لعائلة لها شأن كبير، والده هو أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي، والدته السيدة عفيفة بنت مسعود آل نقيب وهي ابنة مفتي أنطاكية في سوريا، وهو أخو مسعود الكواكبي.[4]

ينتسب الكواكبي من أبويه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد روى صاحب النفائح واللوائح من غرر المحاسن والمدائح نسب الأسرة نقلًا عن كتاب «النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» الذي ألفه السيد حسن بن أحمد بن أبي السعود الكواكبي، فجاء فيه أن السيد أحمد هو "ابن أبي السعود بن

---

[1] محمد عمارة، **الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام**، ط3، دار الشروقن القاهرة، مصر، 2007، ص76.

[2] أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص249 ، 1971.

[3] عباس محمود العقاد، **الرحالة "ك" عبد الرحمان الكواكبي**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص39.

[4] كامل سلمان الجبوري، **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى 2002م**، الطبعة 01، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء 05، 2003، ص377.

أحمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن محمد بن أبي يحي المعروف بالكواكبي، ابن شيخ المشايخ والعارفين صدر الدين موسى الأردبيلي، ابن الشيخ الرباني المسلك الصمداني صفي الدين إسحاق الأردبيلي ابن الشيخ الزاهد أمين الدين ابن الشيخ السالك جبريل ابن الشيخ المقتدي صالح ابن الشيخ قطب الدين أبي بكر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ المرشد الزاهد محمد الحافظ ابن الشيخ الصالح الناسك عوض الخواص ابن سلطان المشايخ فيروز شاه البخاري بن مهدي بن بدر الدين حسن بن أبي القاسم محمد بن ثابت بن حسين بن أحمد بن الأمير داود بن علي بن الإمام موسى الثاني بن الإمام إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب".[1]

ووالدته الشريفة عفيفة بنت بهاء الدين بن إبراهيم بن بهاء الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن شمس الدين الحسن بن علي بن أبي الحسن بن الحسين شمس الدين بن زهرة أبي المحاسن بن الحسن بن زهرة أبي المحاسن بن علي أبي المواهب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الحسين بن إسحاق المؤتمن بن الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام السبط الشهيد الحسين.[2]

-بيئته الاجتماعية

في بيت يعتز بنسبه وحسبه وعلمه وجاهه ترعرع الكواكبي، وكان لهذا البيت أكبر التأثير على شخصيته وذلك بما شهر عن ذلك البيت من تقاليد وصفات وشيم تشر بها الفتى منذ نعومة أظافره، لكن طفولته سرعان ما اهتزت وامتلأت حزنا بموت والدته التي توفيت عام 1859م[3]، فكفلته خالته صفية واصطحبت إلى بيتها في أنطاكية، حيث بقي هناك ثلاث سنوات[4]، وقد عرفت خالته في الشرق بالأدب وكبر العقل، فتعلم هناك القراءة و الكتابة التركية وحفظ شيئا من القرآن الكريم ثم عاد إلى حلب وأكمل تعليمه مع شيء من الفارسية مدة عام تقريبا، وذهب بعدها إلى أنطاكية ثانية

[1] عباس محمود العقاد، **عبد الرحمان الكواكبي**، دار هنداوي للطباعة والنشر، 2014، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص29.

[3] حسن السعيد، **رواد الإصلاح عبد الرحمان الكواكبي جدلية الاستبداد والدين** ط1، مكتبة مؤمن قريش، 2000، ص23.

[4] ماجدة حمود، **فارس النهضة والأدب عبد الرحمان الكواكبي**، اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص09.

لدراسة العلوم ثم استقر في حلب سنة 1865م[1]، فدخل **المدرسة الكواكبية** [2]التي كانت تتبع مناهج الأزهر في الدراسة وكان أبوه مديرا لها وهناك تابع دروسه في الشريعة والأدب والفارسية كما درس بعض علوم الطبيعة والرياضة، لكنه لم يكتفي بذلك، بل راح يعب من علوم السياسية والمجتمع والتاريخ و الفلسفة[3]، فقد نشأ في طفولته على أيدي أساتذة يثقفونه بالعربية والتركية والفارسية وأمور الدين، فما كان ينتقل من بيت أبيه وفيه العلماء والشيوخ والصلحاء ورجال الدين المخلصون إلا إلى المدرسة الكواكبية وفيها الأوراق والكتب والدروس والمحاضرات فأحب المطالعة والعلم والبحث[4]، واتسعت أفاقه بالاطلاع على كنوز المكتبة الكواكبية، فلا شك أن هذه الثقافة المنفتحة التي تمتع بها الكواكبي بالإضافة إلى التربية الإسلامية منحته شخصية مميزة ،5فقد كان عف اللسان صريح القول ثابت الجنان لا يخشى في الله لومة لائم وكان إلى ذلك طيب القلب في زهو وكبر رحيما من غير ضعف يكره الظلم ويحب العدل هادئا في حركاته وسكناته متأججا في طموحه وأفكاره عذب الحديث لطيف المعشر سريع البديهة حاد النكتة يجمع مجلسه جميع الأديان يكره التعصب ويمقت الفرقة ويجد الوطن فوق هذه الفوارق وأكثر أصدقائه وأقربهم إليه الفقراء، وقد أنشأ مكتبا للاستشارات القانونية في حلب ويقدمها للفقراء من جميع الأديان مجانا، ولشدة محبة الفقراء سماه أهل حلب "أبا الضعفاء"، تفتحت له أبواب الرزق في وظائف الدولة تارة وأخرى في التجارة والكسب الحلال.[5]

أما عن هيئته فيذكر حفيده سعد زغلول الكواكبي، بأنه كان معروفا في أسرتهم أنه كان ربع القامة إلى الطول أقرب، دقيق الأنف واسع العينين، أبيض البشرة منتصب القامة، ويقول أن جده وصفه لأمه، بأنه مهيب الطلعة وسيم أنيق دوما، ومن أخلاقه حبه لأهله كثير المزاح معهم محبا للنكات راويا لها[6]،

---

[1] حسن السعيد، مرجع سابق، ص23.

[2] لمدرسة الكواكبية تُنسب إلى المفكر الإصلاحي عبد الرحمن الكواكبي (1855–1902). تميزت بأفكارها المناهضة للاستبداد والداعية إلى الإصلاح السياسي والديني، مع التركيز على دور الحرية في نهضة الأمة.

[3] نقولا زيادة، **أعلام عرب محدثون من القرن الثامن عشر والتاسع عشر**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص88.

[4] ماجدة حمود، مرجع سابق، ص09.

[5] محمد بديع شريف، زكي المحاسني، **أحمد زكي عبد الكريم، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحد**يثة، ط2، دار إقرأ، بيروت، 1984، ص06.

[6] سعد زغلول الكواكبي، **عبد الرحمان الكواكبي السيرة الذاتية**، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998، صص 18-17.

كان واسع الإطلاع بتاريخ المشرق خاصة ممالك الدولة العثمانية كما كان رجلا بعيدا عن التعصب، يستأنس بمجلسه المسلم والمسيحي واليهودي لأن رابطة الوطن كانت أقوى عنده.[1]

تزوج الكواكبي من فاطمة بنت الشيخ محمد علي الكحيل، وهو أحد أساتذته، وأنجب منها تسعة أولاد، منهم خمسة ذكور، وأكبرهم الذي رافقه في سفره إلى مصر، وآخرهم فاضل، وكانت تجمعه بأسرته علاقة أسرية نموذجية[2]، فقد كان محبا لزوجته عطوفا على أولاده وحرصا عليهم فخلال سفره إلى إستنبول في شوال سنة 312هـ، بعث إلى إبنه (أسعد) رسالة يوجهه وأخاه (رشيد)فيها إلى طرائق الدراسة العالية وامكاناتهم المختلفة ويبثهما عواطفه نحو أفراد الأسرة فردا فردا.

المطلب الثاني: تعليمه وتكوينه الفكري

تلقى عبد الرحمان الكواكبي تعليمه الأول في الكتاتيب والمدارس التقليدية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الفقه واللغة العربية. انتقل بعد ذلك إلى المدارس الحديثة في حلب التي أتاحت له دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات واللغات، مما وسع آفاقه المعرفية. اعتمد أيضا على التعلم الذاتي من خلال مطالعة الكتب المتنوعة في التاريخ والسياسة والفلسفة، ومتابعة النقاشات الفكرية في المجالس الثقافية. هذا التنوع في مصادر المعرفة أسهم في تكوين فكر نقدي ومنهج إصلاحي واضح، وجعل منه شخصية مثقفة تجمع بين التراث والمعارف الحديثة.

-مراحل تعليمه الأولى

عاش عبد الرحمان الكواكبي يتيما، حيث توفيت والدته عام 1859 وهو م يتجاوز الخامسة من عمره، فكفلته خالته صفية آل نقيب، وكانت من نوادر النساء في الشرف، عرفت بالأدب وكياسة وكبر العقل.

فاصطحبته معها إلى **أنطاكيا** [3]ليتعلم القراءة والكتابة، وثم تعلم اللغة التركية كما حفظ القرآن أيضا، بعد هذا رجع إلى حلب ليكمل تعليمه فتعلم اللغة الفارسية.[4]

---

[1] جورجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن 19**م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص375.

[2] محمد جمال طحان، **الرؤى الإصلاحية للمفكر النهضوي عبد الرحمان الكواكبي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص48.

[3] أنطاكيا مدينة تاريخية قديمة تقع حاليًا في تركيا قرب الحدود السورية. اشتهرت كمركز حضاري وتجاري وديني، وكانت من أهم المدن في العهدين اليوناني والروماني، ومركزًا مبكرًا للمسيحية.

عاد عبد الرحمان الكواكبي مرة أخرى إلى أنطاكيا بعد مرور سنة كاملة بمدينة حلب السورية، وعاد مرة أخرى إلى حلب سنة 1865 ليلتحق بالمدرسة الكواكبية التي كان يديرها أبوه، حيث تعلم بمدرسة والده علوم الشريعة والأدب، كما درس العلوم الأخرى كعلوم السياسة والمجتمع والتاريخ والفلسفة.[1]

"وهكذا تسنى للفتى في وقت مبكر من عمره الاطلاع على مجالات شتى في عالم المعرفة، وقد ساعده شغفه بالقراءة واهتمامه بالكتب قديمها وحديثها وعلى صقل شخصيته مع انفتاحه على آفاق رحبة، وسرعان ما اكتشف ذاته وواقعه وما يحيط به من مآس وتحديات واستبداد".[2]

فالفترة التي عاش فيها الكواكبي بمدينة حلب عرفت ازدهارا كبيرا بسبب موقعها الجغرافي قبل فتح قناة السويس فكان ياتيها الزائرون من الغرب والشرق لأغراض تجارية خاصة الهندية والأوروبية مما أثر على الفكر السوري والحلبي خاصة، فكان الأوروبيون ينقلون أفكارهم وآرائهم بالإضافة إلى اتجاهاتهم بحيث نقل الإيطاليون حيثيات ثورتهم القومية والفرنسيين نقلوا أيضا ثورتهم الدستورية.[3]

-مصادر تكوينه الفكري.

تأثر عبد الرحمان الكواكبي بعدة مصادر فكرية أسهمت في تشكيل رؤيته الإصلاحية، وقد تنوعت هذه المصادر بين إسلامية وتراثية وعقلانية وغربية، إضافة إلى تأثيرات الصحافة والواقع السياسي العثماني.

يأتي في مقدمتها التأثر بالقرآن الكريم والسنة النبوية، حيث اعتمد عليهما في بناء تصوراته عن العدل والحرية ومقاومة الاستبداد. يظهر ذلك بوضوح من استشهاده بآيات مثل ما ورد في الصفحة 25 من كتابه طبائع الاستبداد: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: 11)، تأكيدًا على دور الإرادة الجماعية في التغيير الاجتماعي والسياسي.

---

[4] حسن السعيد، **جدلية الدين والاستبداد**، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2000 ، ص25.

[1] المرجع نفسه، ص25.

[2] محمد جمال طحان، **أعمال الكواكبي غير الكاملة**، سورية، 1984، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ص26.

إضافة إلى ذلك، تأثر الكواكبي بالفكر العقلاني الإسلامي، لا سيما **المدرسة المعتزلية**[1]، التي أولت العقل مكانة مركزية في تفسير الظواهر، وخاصة ما يتعلق بالحرية والمسؤولية. وقد ساعده هذا الاتجاه في بناء خطاب يوازن بين الإيمان والعقل ويربط بين الحرية والواجب الأخلاقي[2].

أما على صعيد التأثيرات الغربية، فقد اطلع الكواكبي على مبادئ الثورة الفرنسية وأفكار فلاسفة مثل فولتير وجان جاك روسو من خلال الصحف والكتب المترجمة، لكنه لم يتبنَّها بشكل مباشر، بل تعامل معها بروح نقدية ضمن مرجعيته الإسلامية، فاستفاد من مضامينها التحررية دون أن ينفصل عن بيئته الثقافية[3].

-الشخصيات المؤثرة في فكر الرجل

كما استلهم الكواكبي كثيرًا من التراث الإسلامي الإصلاحي، وخصوصًا ما جاء به مفكرون مثل ابن خلدون في تحليله لبنية السلطة وعلاقة الدولة بالدين، والإمام محمد عبده الذي كان معاصرًا له وأثنى على أفكاره الإصلاحية. هذا الاتجاه الإصلاحي داخل الفكر الإسلامي كان له أثر واضح على الكواكبي في تأصيل دعوته للتجديد ومحاربة الجمود[4].

ولعبت الصحافة دورًا محوريًا في تشكيل فكره، حيث استفاد من المقالات المنشورة في جريدة "العروة الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وعبّر عن رؤاه الخاصة من خلال جريدته "الشهباء" التي أصدرها في حلب، ما أتاح له التفاعل مع قضايا عصره وبلورة أطروحاته الإصلاحية[5].

وأخيرًا، شكّل الواقع السياسي والاجتماعي في الدولة العثمانية مصدرًا أساسيًا لتحفيز الكواكبي على خوض معركة الفكر ضد الاستبداد، فقد عاين مظاهر الفساد والقمع مما دفعه إلى إنتاج خطاب نقدي راديكالي ضد السلطة، هدفه تحرير الإنسان والمجتمع من هيمنة الطغيان[6].

---

[1] المدرسة المعتزلية هي تيار فكري كلامي ظهر في العصر العباسي، يقوم على تقديم العقل في فهم العقيدة والدفاع عن حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله. عُرفت بمقولتها الشهيرة "العدل والتوحيد" وأسهمت في إثراء الفكر الإسلامي والفلسفة.

[2] محمد عمارة، **عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام**، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص123.

[3] ناصر الدين الأسد، **الكواكبي حياته وفلسفته السياسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص89.

[4] فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1997، ص198

[5] محمد جمال باروت، **عبد الرحمان الكواكبي النهضة والإصلاح**، دار الفكر، سوريا، 1994، ص66.

[6] عز الدين إسماعيل، **فكر النهضة العربية**، دار العودة للنشر والتوزيع، لبنان، 1979، ص157.

المبحث الثاني: مسيرته المهنية ورحلاته

امتدت المسيرة المهنية لعبد الرحمان الكواكبي لتشمل مجالات متعددة في الإدارة والصحافة والعمل العام. بدأ نشاطه في حلب حيث تولى مهاما رسمية وإدارية، ثم انخرط في العمل الصحفي الذي جعله صوتا مؤثرا في قضايا الإصلاح ومكافحة الفساد. لم تقتصر تجربته على بلده، بل قادته رحلاته إلى عدد من الأقاليم داخل الدولة العثمانية وخارجها، ما أتاح له الاطلاع على أوضاع الشعوب وتبادل الأفكار مع مفكرين ومصلحين. هذه الخبرات الميدانية أثرت فكره وأكسبته رؤية أوسع حول قضايا النهضة والتحرر.

المطلب الأول: وظائفه ومسؤولياته

تولى عبد الرحمان الكواكبي عدة مناصب في الإدارة المحلية بحلب، حيث عمل في وظائف رسمية مكّنته من التعرف على آليات العمل الحكومي ومشكلات الإدارة في ظل الحكم العثماني. أسندت إليه مسؤوليات في مجالات القضاء والإشراف البلدي، كما شارك في تنظيم بعض المشاريع العامة. إلى جانب ذلك، مارس العمل الصحفي من خلال تحرير وإصدار مقالات في صحف محلية، مما جعله طرفا فاعلا في النقاشات العامة. هذه المناصب والمسؤوليات وفرت له خبرة عملية واسعة وأظهرت التزامه بقضايا الإصلاح وخدمة المجتمع.

-مجال عمله

باعتبار حلب مولد ومنشأ الكواكبي الذي ترعرع فيها فقد تبلورت بها تجربته الإصلاحية عن طريق الأدوار والأنشطة التي تصدى لها أو نهض لها وشملت أعماله عدة مجالات منها: الصحافة والمحاماة والتجارة، وهي الأنشطة والمجالات التي جعلته على احتكاك مباشر وحي مع المجتمع من جهة، ومع السلطة من جهة أخرى، لذلك فإنا لأفكار التي توصل إليها وتمسك بها هي نتائج اختبارات وتجارب واحتكاكات، وليست مجرد تأملات أو تجريدات أو تنظيرات باردة.[1]

[1] زكي الميلاد، **حركة الإصلاح في العصر الحديث عبد الرحمان الكواكبي** مجلة فصلية تدرس شؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجديد الحضاري، ع ،37 ، صدرت عن منتدى للكلمة المملكة السعودية 2002م، ص 9.

كما شغل في مجال الصحافة محررا بجريدة الفرات مدت أربع سنوات (1872 1876م) وهي الجريدة الوحيدة في حلب آنذاك التابعة للدولة[1]، والتي كانت تصدر باللغتين العربية والتركية، ولعل هذه التجربة المبكرة كشفت له عن قيمة الدور التي تنهض به الصحافة في تنوير الرأي العام والقدرة على تحريكه والتأثير عليه.

ويعتبر **جودة باشا**[2]/[3]، من الذين شجعوه على الانخراط في هذا المجال باستقلالية وذلك عندما كلفه بتحرير تلك الجريدة رغم صغر سنه وبعد مرور عام من عمله في الفرات تبادر إلى ذهنه إنشاء جريدة حرة لنشر آرائه فأنشأ جريدة الشهباء سنة 1878م بالتعاون مع "هشام العطار".[4]

كانت تلك الجريدة أول جريدة عربية مستقلة تصدر في حلب بالغة العربية، لكنها توقفت بعد مرور خمة عشر عددا ، بأمر من والي حلب آنذاك كامل باشا القبرصي" الذي لم يتحمل المنحى النقدي للصحيفة، لأن مقالاتها كالسيف القاطع على الحكم والموظفين ليتم غلقها من طرف الأتراك[5]

بعدها عاود الكواكبي التجربة" مرة أخرى لقناعته بهذا الدور فأصدر سنة 1879م " جريدة الاعتدال " بالغتين العربية والتركية غير أنها لاقت نفس المصير سابقتها وتوقفت الأخرى، بعد صدور عشر أعداد منها فقط، وتم اغلاقها بطلب من والي حلب " جميل باشا "، وبعد هذه التجربة في الصحافة التي وجد فيها عبد الرحمان الكواكبي عدم امكانية النهوض بها في ظل استبداد السلطة التي لا تحتمل النقد أو الرأي المخالف.[6]

توجه نحو تقلد العديد من المناصب الإدارية و الحكومية الرسمية بدفع من السلطة و الخطوة التي يمكن اعتبارها بمثابة الإنجاز الهام للكواكبي هي قدرته على امتصاص النزعة النقدية و احتواء حس المعارضين

---

[1] جرجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن 19م**، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج1، 2012، ص 375

[2] جودة باشا هو أحد رجال الدولة في مصر خلال القرن التاسع عشر. تولى مناصب إدارية وسياسية بارزة، وارتبط اسمه بالإصلاحات التي شهدتها البلاد في تلك الفترة.

[3] أحمد جودت باشا قيل مؤرخ تركي كبير، **أنشأ صحيفة الفرات** أنظر : عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص43.

[4] زكي صلاح أحمد، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص ص 10-9

[5] نفس المرجع، ص24.

[6] محمد عمارة، **تيارات الفكر الإسلامي**، ط2، دار الشروق، القاهرة 1981م، ص294.

، ناهيك عن عدم تقاضيه أي مرتب مالي في لجنتين كان على رأسيهما وهما المعارف و المالية(3)، وفي سنة 1881معينا مديرا فخريا للمطبعة الرسمية بحلب ثم رئيسا فخريا لها ، ثم رئيس فخريا للجنة الأشغال العامة ، وفي سنة 1892م عين رئيسا للغرفة التجارية الى جانب رئاسة المصرف الزراعي و استقال منها في السنة ذاتها ، وفي سنة 1896م أعيد تعيينه رئيسا لغرفة التجارة بحلب ، و لجنة بيع الأراضي الأميرية[1]

عين في منصب مسؤول دائرة التنفيذ في المحكمة وعين كعضو فخري في لجنة امتحان المحامين ومن بعدها عضوا في المحكمة التجارية بولاية حلب بعد تقلده لمنصب رئيس البلدية[2]

هذا التحول والانتقال السريع في المناصب والمواقع يكشف عن عدم قدرة " الكواكبي على الانسجام والتوافق مع مؤسسات الدولة المشيدة كما يكشف من ناحية أخرى عن السعي السلطة إلى احتوائه وفق سياستها، ومن المجالات التي انخرط فيها أيضا سلك المحاماة والقضاء، ولم يستقر منصب محدد، بل ظل ينتقل من موقع لآخر فقد عين بمحكمة التجارة سنة 1886م بأمر من وزارة العدل العثمانية، وفي سنة 1894م أصبح رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية بالولاية[3]

تلك المجالات والأنشطة ساهمت في تكوين تصوراته الذهنية، وانطباعاته الاجتماعية والسياسية وفكرة النقدي، فالصحافة جعلته في موقع الرقيب و الناقد والمؤثر[4]، وفتحت ذهنه على مجريات الشأن العام ، و الاقتراب من قضايا الأمة، والتأثير على الرأي العام أما المناصب الإدارية والحكومية فقد كشفت له عن طرق الاستبداد وكيف ينمو ويتوسع في مؤسسات الدولة، وكيف يتضرر الناس من هذا الوضع الفاسد، أما القضاء والمحاماة فقد عرفه على معاناة الناس و التعدي على حقوقهم، ويسجل الكواكبي ما قام به من دورهم في اظهار ظلامات المواطنين وحجم الضرر الذي وقع عليهم عن طريق مكتب فته للمحاماة ظل يستقبل فيه الشكاوي والتعديات.[5]

---

[1] عبد الرحمان الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، تق، أسعد السحمراني، ط 3، دار النفائس بيروت، 2006م، ص 10

[2] محمد عمارة، **عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام**، ط3، دار الشروق ،2007م، ص 81.

[3] عبد الرحمان الكواكبي المصدر السابق، ص ص 10-11.

[4] زكي صلاح أحمد، المرجع السابق، ص 27.

[5] عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص43.

كما قام بترتيب أوقات العمل، وتتبع المهربين للدخان وأجرى عليهم رواتب ووظائف تغنيهم عن التهريب وضبط أعمال الغرفة التجارية بالإحصاءات ونظمها على مثال الغرف التجارية، ومن مشروعاته كذلك اعداد العدة لإنارة المدينة وضواحيها بالكهرباء وبناء مرفأ للسويدية، وجلب الماء إلى حلب من نهر الاجور وتحقيق المستنقعات التي كانت منبعا للأوبئة[1]. الى درجة أن السلطات المركزية العثمانية، كلفت مفوضا عنها هو "صاحب بك" رئيس دائرة المحاكمات في شورى الدولة أرسلته إلى حلب سنة 1885م للنظر في التظلمات التي حررها ووثقها عبد الرحمان الكواكبي د الموظفين والولاة في الإدارات والمؤسسات العثمانية.[2]

غير أنه ساهم في وضع التصورات والخطط للعديد من المشاريع الحيوية أثناء ترأسه لبلدية حلب 1893م كإنشائه لخط حديدي يربط مدينة حلب بجاراتها، وكذلك قام بتأميم شركة الريجي وكان يسعى دائما لمعالجة أسباب التخلف، كما أنشأ في حلب مكتبا خاص للدفاع عن المضطهدين، حتى أصبح يسمونه بأبي الضعفاء.[3]

أنشأ تنظيم جمعية أم القرن وهي جمعية عقدت مؤتمرها السري بمكة وأصبحت مداولات مؤتمرها هذا أساس كتابه "أم القرن" وفي هذا المؤتمر حضر ممثلون عن الولايات العربية التي يحتمها العثمانيون وشاركهم المداولات ممثلون للبلاد العربية الأخرى وللجاليات الإسلامية خارج حدود الوطن العربي.[4]

-دوره في نشر الوعي السياسي

وصل الكواكبي إلى القاهرة سرا في عام 1899م وفيها عرفت أفكاره الإصلاحية التي نشرها و حاول نشرها في بلاد الشرق والعالم الإسلامي مستفيدا من أجواء الحرية هناك ، خصوصا في نقد السياسات العثمانية ومن نشاط الصحافة الواسع ،ومن موقع مصر كمركز اشعاع و اتصال ثقافي و سياسي ، عرف الكواكبي في بلاد الشرق و تلاحقت أفكاره و اندمجت بحركة الإصلاح الإسلامي انضمإلى نخبة من المصلحين و الكتاب الذي سبقوه إلى مصر من خلال قوله إن الإنسان يتجرأ أن يقول و يكتب في بلاد الحرية مالا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد بل إن بلاد الحرية تولد في الذهن من الأفكار الآراء

[1] نفسه، ص ص43-44.

[2] زكي صلاح أحمد، المرجع السابق، ص22

[3] المرجع نفسه ص06.

[4] محمد عمارة، المرجع السابق، ص 294

مالم يتولد عن غيرها ، و كانت القاهرة محطة نشر لكتابيه طبائع الاستبداد" في صحيفة المؤيد و "أم القرى" في صحيفة المنار[1].

تعددت الكتابات التي عرفت بالكواكبي و فكره و نظرياته و طبيعة توجهاته وعن هذه الكتابات يقول زميله في القاهرة **ابراهيم النجار**[2]" حدث أن صدر المؤيد ذات يوم يحمل إلى قرائه كتابا غريب الشكل و اللهجة و الأسلوب ، لا يسبق لجريدة المقطم[3]، أو غيرها من الصحف التي عرفت بكتابتها الحرة ، و خلال فترة وجيزة استطاع الكواكبي أن يحتل مكانة في مصر بين المفكرين و المصلحين و اعتبر آخر الجسور التي واكبت المرحلة الثانية من عصر النهضة في مصر و قد اعتبره غالي شكري أنه أكثر فعالية من وفد داخلي و هو كون غالبيته الشعب الصري يدين بالإسلام و بالتالي كان من الممكن للأفكار الإسلامية المتحررة أن تؤثر بوزن أكبر[4].

ومن خلال هذه الأعمال والوظائف جرت عليه صراحته عداوة أعداء العمل فابتلي في ماله و رزقه وقام الولاة بمصادرة أرائه و ألصقوا به الكثير من التهم ، فكلما نشبت فتنة أو وقعت جريمة ألصقت به ، ومن أكبر التهم التي ألصقت به اتهامه بالتواطؤ مع دولة أجنبية من أجل تسليم حلب لها و هي جريمة عقوبتها الموت لكن الكواكبي مع رجاله عملوا قصارى جهدهم حتى لا يتم محاكمته في حلب و نجحوا في هذا وتمت المحاكمة في بيروت ، و هذا الإبتعاد كان من أجل جلاء الشبهة و ثبوت البراءة اللتان ظهرتا في الأخير و كشفتا عن خيانة عارف باشا الذي عزل عنه منصبه[5].

المطلب الثاني: رحلاته ووفاته

قام عبد الرحمان الكواكبي بعدد من الرحلات التي شكلت محطات مهمة في حياته الفكرية والسياسية. شملت رحلاته مدنا في الدولة العثمانية مثل إسطنبول، إضافة إلى بلدان عربية كمصر التي أصبحت

[1] زكي صلاح أحمد، المرجع السابق، ص ص 13-14.

[2] إبراهيم بن خليل بن يوسف النجار (1822–1864)طبيب لبناني من دير القمر، درس الطب في قصر العيني بمصر، وعُين طبيبًا عسكريًا في بيروت

[3] المرجع نفسه، ص15.

[4] عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص45.

[5] عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص45.

محطة أساسية في نشاطه الفكري. مكنته هذه التنقلات من التعرف على أوضاع المجتمعات المختلفة والاحتكاك بمفكرين وزعماء إصلاحيين، ما أثرى رؤيته للإصلاح والتغيير.

انتهت حياته في القاهرة سنة 1902 بعد مسيرة حافلة بالنضال الفكري والسياسي. وفاته المفاجئة أثارت تساؤلات حول ظروفها، لكنها لم تمنع أفكاره من الاستمرار في التأثير على أجيال من المصلحين والباحثين في قضايا النهضة العربية.

-أسفار الكواكبي وأهدافها

أسفار عبد الرحمان الكواكبي لم تكن رحلات سياحية ولا تنقلات شخصية. كانت اختيارات مدروسة، ذات أبعاد فكرية وسياسية. رافقت كل مرحلة من حياته، ولعبت دورًا محوريًا في تطور رؤيته الإصلاحية.

بعد التضييق عليه في حلب، وسحب رخصة جريدته "الشهباء"، قرر التوجه إلى مصر سنة 1898. كان اختياره للقاهرة مقصودًا، لأنها آنذاك كانت فضاءً حرًا نسبيًا، تعج بالصحف العربية، وتضم تيارات فكرية متعددة. أقام فيها عدة سنوات، وكتب في صحف مثل "المؤيد" و"اللواء". كانت أهدافه واضحة: نشر أفكاره حول الاستبداد والإصلاح، التواصل مع المثقفين العرب مثل محمد عبده وسعد زغلول، وطبع وتوزيع كتبه، خاصة "طبائع الاستبداد" الذي صدر أولًا كمقالات في الصحف.[1]

سفره إلى الآستانة (عاصمة الدولة العثمانية) لم يكن مجرد زيارة. حاول هناك تقديم مشروع إصلاحي للسلطان عبد الحميد الثاني، لكنه فوجئ برفض تام، وبجهاز بوليسي يلاحق كل نفس إصلاحي. هذه التجربة زادت من قناعته بأن الاستبداد العثماني ليس مجرد خلل إداري، بل بنية متجذرة تقاوم أي إصلاح.[2]

زار الهند أيضًا، ولم تكن هذه الرحلة عابرة. تأثر الكواكبي بالتجربة البريطانية في الإدارة، ولاحظ كيف استثمر المستعمر في التعليم والإدارة. كما اطلع على أوضاع المسلمين هناك، وتأمل في علاقة الجهل

[1] عبد الفتاح محمد الحلو، **عبد الرحمان الكواكبي: حياته وفكره**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص 97-102

[2] محمد جمال باروت، **عبد الرحمان الكواكبي: التراث – الحداثة – الإصلاح**، دار الفكر، دمشق، 2006، ص 135-137.

بالاستعمار. خرج من هذه التجربة بقناعة أن الجهل والاستبداد متلازمان، وأن الاستعمار يستثمر في ضعف المجتمعات.[1]

كل أسفاره كانت تصب في هدف مركزي: فهم الواقع السياسي والاجتماعي للعالم الإسلامي، وتقديم بدائل فكرية عميقة للخروج من حالة الانحطاط. لم يكتف بالنقد، بل حاول التأسيس لفكر سياسي جديد، قائم على الحرية، والنهضة، والوعي الشعبي.[2]

–وفاة عبد الرحمان الكواكبي وأثرها

في مساء 14 يونيو 1902، فارق عبد الرحمان الكواكبي الحياة فجأة في القاهرة. وفاته كانت صادمة وغير متوقعة. الأوساط القريبة منه تحدثت عن تسمم، لكن لم تُفتح أي تحقيقات رسمية. أصابع الاتهام وجهت نحو رجال السلطان عبد الحميد، خاصة أن الكواكبي كان مراقبًا من قبل القنصلية العثمانية في القاهرة، بسبب كتاباته الصريحة عن الاستبداد العثماني.

الصحف المصرية نعت الكواكبي بكلمات مؤثرة، واعتبرته صوتًا مميزًا في ساحة الإصلاح العربي. شيعت جنازته في حضور شخصيات فكرية وسياسية. دُفن في مقبرة باب الوزير، ووُضع على قبره نصب حمل عبارة شهيرة: "هذا قبر شهيد في سبيل الحرية".[3]

وفاته كانت بداية تأثير جديد، لا نهايته. بعد رحيله، بدأت كتبه تنتشر بشكل أوسع. جيل ما بعد 1908، وخاصة بعد **الثورة الدستورية العثمانية**[4]، وجد في "طبائع الاستبداد" مرجعًا أساسيًا لفهم الطغيان الشرقي[5]

من أبرز آثار وفاته: تصاعد الاهتمام بفكره في مصر وسوريا والعراق، دخول أفكاره في مناهج جمعيات إصلاحية مثل "الفتاة" و"العهد"، واعتماد كتاباته كمرجع في الجامعات بعد الاستقلال،

---

[1] زهير الشاويش، **الكواكبي وطبائع الاستبداد**، دار القلم، دمشق، 1985، ص 59–63.

[2] محمد جمال باروت، نفس المرجع، ص 141–145.

[3] محمد جمال باروت، **عبد الرحمان الكواكبي: التراث – الحداثة – الإصلاح**، ص 223–225.

[4] الثورة الدستورية العثمانية (1908) حركة قادها "جمعية الاتحاد والترقي" أجبرت السلطان عبد الحميد الثاني على إعادة العمل بدستور 1876. مثلت بداية الحياة النيابية الحديثة في الدولة العثمانية لكنها سرعان ما واجهت تحديات داخلية وخارجية.

[5] ناصيف نصار، **الفكر العربي في العصر الليبرالي**، دار الطليعة، بيروت، 1978، ص 94–96.

خاصة في سوريا. مفكرون مثل شبلي شميل، وساطع الحصري، وطه حسين أشاروا إليه كأحد رواد النهضة العربية[1]

[1] عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام الغزالي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1985، ص 302-304.

الفصل الثالث

أطروحة عبد الرحمان الكواكبي في الاصلاح السياسي

الفصل الثالث: أطروحة عبد الرحمان الكواكبي في الإصلاح السياسي

يشكل هذا الفصل مدخلا لفهم المشروع الفكري لعبد الرحمان الكواكبي في مجال الإصلاح السياسي. فقد تناول في كتاباته مختلف الجوانب المتعلقة بطبيعة الحكم، وعلاقة السلطة بالشعب، وأثر الفساد والاستبداد على تراجع الأمة. ركز على أن الإصلاح السياسي ليس مطلبا آنيا، بل ضرورة حتمية لضمان نهضة المجتمعات الإسلامية واستعادة دورها الحضاري. تميزت أطروحته بالجمع بين التحليل العميق للواقع السياسي في عصره، وطرح حلول عملية تستند إلى مبادئ الدين الإسلامي وقيم العدل والشورى. كما أسهمت أفكاره في تغذية الوعي السياسي لدى النخب والجماهير، وفتحت المجال أمام نقاشات واسعة حول مفهوم الحكم الرشيد وسبل مقاومة الاستبداد.

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح السياسي عند الكواكبي

الإصلاح السياسي عند الكواكبي هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي مشروع نهضوي. اعتبر أن إصلاح الحكم يمثل نقطة البداية لأي إصلاح اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي، وأنه لا يمكن بناء مجتمع قوي في ظل سلطة مستبدة. انطلق في تحديد مفهوم الإصلاح من منطلقات دينية وقيمية، مع دمج ما استخلصه من تجاربه ورحلاته واطلاعه على أوضاع أمم أخرى. أبرز في مؤلفاته العلاقة الوثيقة بين الوعي الشعبي والمشاركة السياسية، مؤكدا أن غياب هذين العنصرين يؤدي إلى استمرار دائرة الاستبداد والتخلف. كما ركز على أن الإصلاح لا يقتصر على تغيير الأشخاص في مواقع السلطة، بل يتطلب إصلاح البنية السياسية والقانونية التي تنظم الحكم.

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح ودوافعه

تناول الكواكبي الإصلاح كعملية شاملة تتجاوز الجانب الإداري أو المؤسسي، لتشمل إصلاح الفكر العام وبناء وعي سياسي لدى الناس. حدد أن الإصلاح السياسي يقوم على إعادة السلطة إلى الأمة، وضمان مراقبتها للحكام، ووضع آليات تحول دون انفراد شخص أو فئة بالقرار. من بين الدوافع التي جعلته يتبنى هذا الطرح، إدراكه العميق لحالة التدهور التي عاشها العالم الإسلامي تحت أنظمة استبدادية، وشعوره بالمسؤولية تجاه أمته. كما ساهمت خبرته في العمل الإداري والصحفي، واحتكاكه بمختلف فئات المجتمع، في تكوين قناعة راسخة بأن الإصلاح السياسي هو المدخل لإصلاح جميع مجالات الحياة.

–تعريف الإصلاح السياسي

حدد الكواكبي الإصلاح السياسي بأنه تصحيح مسار الحكم بما يتوافق مع مبادئ العدل والشورى، وإقامة نظام يضمن مشاركة الأمة في إدارة شؤونها. اعتبر أن هذا الإصلاح ليس ترفا فكريا، بل واجب شرعي وضرورة حياتية، وأن غيابه يعني استمرار الظلم وتفكك المجتمعات. كما رأى أن الإصلاح السياسي يجب أن يقترن بإصلاح القضاء، وتعزيز حرية الصحافة، وحماية الحريات الفردية والجماعية، حتى يحقق أهدافه ويصمد أمام محاولات الالتفاف عليه.

مفهوم الإصلاح عند الكواكبي:

يرى الكواكبي أن الإصلاح لا يكون إلا بتغيير بنية النظام السياسي نحو "العدل" و"الحرية"، مع إعادة الاعتبار للعقل والفكر المستقل، وربط الدين بقيمه الأخلاقية العليا لا بالمؤسسات السلطوية. يقول في هذا السياق:

"إن الاستبداد أصل لكل فساد، وأول دواء له هو الفكر الحر والتعليم الصحيح" [1].

فالإصلاح عند الكواكبي مشروع تحرر يبدأ من الذات ويمتد إلى المجتمع، ويتأسس على الوعي والمعرفة لا على القوة والغلبة. ولا يمكن، في نظره، الحديث عن إصلاح حقيقي في ظل هيمنة أنظمة استبدادية تُفسد الدين وتُخدّر العقول.

وقد ارتبط مفهوم الإصلاح لديه بأهداف مثل:

- ترسيخ مبدأ الشورى في الحكم.
- تحرير الدين من سلطة المستبد.
- تقوية الضمير الجماعي للأمة الإسلامية.
- إشاعة ثقافة العلم والمعرفة بدل التقليد والتبعية[2].

-العوامل التي دفعت الكواكبي إلى الإصلاح

تعددت العوامل التي حفزت الكواكبي على تبني مشروع الإصلاح، منها الواقع المتردي للدولة العثمانية في أواخر عهدها، وانتشار الفساد في الجهاز الإداري، واستشراء الجهل والفقر بين الناس. كما أن اطلاعه على تجارب الأمم الأوروبية التي نجحت في الحد من سلطة الحكام وتوسيع المشاركة

[1] الكواكبي، عبد الرحمان. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. الطبعة الرابعة، دار الهلال، 2005، ص 5.

[2] عبد القادر، محمد. "**الفكر السياسي عند عبد الرحمان الكواكبي**". المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 13، 2010، ص 120.

الشعبية، جعله يدرك أن الإصلاح ممكن إذا توفرت الإرادة والوعي. كذلك لعبت نشأته في بيئة علمية وانخراطه في العمل العام دورا في تشكيل رؤيته النقدية للسلطة وأساليب إدارتها.

لم يكن الكواكبي منظّرًا يعيش في برج عاجي، بل كان ابن بيئته، مدفوعًا بجملة من التحولات السياسية والاجتماعية التي عرفها المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر. ويمكن إجمال أبرز دوافع الإصلاح عنده في ما يلي:

- الاستبداد السياسي والديني: اعتبر الكواكبي الاستبداد أصل البلاء، سواء تعلّق الأمر بالسلطة السياسية أو برجال الدين الذين "يُسوّغون الظلم باسم الطاعة"[1].

- الجهل وتغييب العقل: رأى أن الانحطاط المعرفي والثقافي سببه تغييب الفكر النقدي، وهيمنة الخرافة والجمود على التعليم والتدين[2].

- تفكك الأمة الإسلامية: كانت الأمة، في نظره، ضحية صراعات داخلية وخارجية، جعلتها لقمة سائغة للاستعمار، وهو ما يستدعي إصلاحًا داخليًا يعيد بناء وحدتها.

- الفساد الإداري والمالي: انتقد الكواكبي بشدة النُظم الإدارية القائمة على المحسوبية والرشوة، معتبرًا أنها تُمكّن المستبد من السيطرة على مفاصل المجتمع دون مساءلة[3].

- التحولات الدولية: كان الكواكبي واعيًا بخطر التغوّل الاستعماري الأوروبي، إذ دعا إلى إصلاح داخلي يُحصّن الأمة من التدخلات الخارجية ويعيد لها كرامتها[4].

يُمكن القول إن الكواكبي لم يتبنَّ الإصلاح كشعار مجرد، بل كرهان وجودي يروم تحرير الإنسان المسلم من قيود الجهل والخوف والاستبداد. فالإصلاح، في نظره، هو استعادة "الوعي الحر"،

[1] الجابري، محمد عابد. **الخطاب العربي المعاصر**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص 212.

[2] الكواكبي، عبد الرحمان. **أم القرى**. دار الفكر العربي، 1992، ص 42.

[3] العروي، عبد الله. **الإيديولوجيا العربية المعاصرة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص 198.

[4] بوحنية، قوي. "**عبد الرحمان الكواكبي: الإصلاح من الداخل**". مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 27، 2019، ص 76.

والانعتاق من كل سلطة غير شرعية، سياسية كانت أو دينية. وهو ما سيُعبّر عنه بوضوح أكثر في مواقفه من الخلافة والاستبداد، كما سنرى في المباحث القادمة.

المطلب الثاني: موقفه من الخلافة الإسلامية

نظر الكواكبي إلى الخلافة الإسلامية باعتبارها مؤسسة عليا يفترض أن تجمع شمل الأمة وتحمي مصالحها، لكنه رأى أن الممارسة التاريخية في عصره ابتعدت عن هذا الهدف. دعا إلى إعادة النظر في طريقة إدارة الخلافة بما يضمن فصل السلطات، وإتاحة المجال للأمة للمشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية. وانتقد بشدة تركز السلطة في يد الخليفة وحاشيته، مما أفرغ الخلافة من مضمونها الحقيقي، وحولها إلى أداة للاستبداد السياسي.

أولا: نقده للخلافة العثمانية

أكد الكواكبي أن النظام الأمثل للحكم هو القائم على مبدأ **الشورى**[1] والعدل، بحيث تكون الأمة مصدر السلطات، والحكام خاضعين للمساءلة. دعا إلى وضع دستور يحدد صلاحيات الحاكم ويضمن الفصل بين السلطات، ورأى أن هذا النموذج هو الأقرب لتعاليم الإسلام وتجارب الأمم الناجحة.

كان الكواكبي من أوائل المفكرين العرب الذين وجّهوا نقدًا مباشرًا لمؤسسة الخلافة العثمانية. فقد رأى أنها لا تمثل الأمة الإسلامية، بل تمثل مصالح سلالة حاكمة تحتكر السلطة، وتُسخّر الدين لتبرير سلطانها. وفي هذا السياق يقول:

"الاستبداد الديني ناشئ عن الاستبداد السياسي، بل هما صنوان كل منهما يستمد وجوده من الآخر".[2]

[1] [1] الشورى هي مبدأ إسلامي يقوم على التشاور في اتخاذ القرار بين الحاكم وأهل الخبرة والرأي. تهدف إلى تحقيق العدل والمصلحة العامة، وتُعد أساسًا للحكم الرشيد ومظهرًا من مظاهر المشاركة السياسية في الإسلام.

[2] الكواكبي، عبد الرحمان. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. الطبعة الرابعة، دار الهلال، 2005، ص 6.

كان واضحًا في نقده للسلطان عبد الحميد الثاني، الذي اتخذ لقب "خليفة المسلمين"، ورأى فيه تجسيدًا لدمج السلطة الدينية بالاستبداد السياسي. واعتبر أن هذا الدمج يُفسد الدين والدولة معًا، ويجعل الأمة تابعة لرجل لا يمثل إرادتها، ولا ينهض بمسؤولياتها التاريخية[1].

بل ويُشكّك الكواكبي في أصل الشرعية السياسية للسلطان العثماني، إذ لا وجود في الإسلام، حسب رأيه، لنظام وراثي مطلق، وإنما الأصل في الحكم هو الشورى واختيار الأمة لمن يُمثلها[2].

ثانيا: تصوره للخلافة الإسلامية.

رغم رفضه لممارسات الخلافة العثمانية، فإن الكواكبي لم يُنكر مبدأ الخلافة كفكرة جامعة للأمة، ولكنه دعا إلى إعادة تعريفها بما يتناسب مع مقاصد الإسلام في الحكم العادل. وقد دعا إلى أن تكون الخلافة:

- مبنية على الشورى لا التوريث.
- ممثلَة لإرادة الأمة لا فوقها.
- رمزية في وحدتها لا قمعية في سلطتها[3].

وفي كتابه أم القرى، يقترح نموذجًا يتم فيه اختيار خليفة المسلمين عبر مؤتمر عام، يمثل فيه العلماء والمصلحون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ويكون هذا الخليفة أشبه بقائد روحي ومعنوي، لا سلطانًا سياسيًا مطلقًا[4].

كما يؤكد على ضرورة الفصل بين الوظائف السياسية والدينية، لأن الخلط بينهما، في رأيه، أدى إلى تسييس العقيدة، وتقديس السلطة، وهو ما حوّل الدين إلى "وسيلة إخضاع" بدل أن يكون "وسيلة تحرير"[5].

---

[1] مرزوقي، الطاهر. "**الكواكبي ونقده لمفهوم الخلافة**"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 15، 2012، ص 94.

[2] الجابري، **محمد عابد**. **التراث والحداثة**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 123.

[3] الكواكبي، عبد الرحمان. **أم القرى**. دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 45.

[4] عاشور، عبد القادر. "**عبد الرحمان الكواكبي ورؤيته الإصلاحية**"، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 89، 2014، ص 67.

[5] العروي، عبد الله. **الإيديولوجيا العربية المعاصرة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص 207.

ثالثا: الخلافة بين الدين والسياسة

من أهم ملامح تجديد الكواكبي للفكر السياسي الإسلامي، هو وعيه المبكر بضرورة التمييز بين الدين كقيمة أخلاقية وروحية، والسياسة كمجال متغيّر ومصلحي. لقد دعا إلى تحرير الدين من التوظيف السياسي، ورفض أن يكون الحاكم ظلًا لله في الأرض، كما اعتقد فقهاء الاستبداد، بل إن الحاكم لا يختلف عن أي موظف يُحاسب ويُراقب[1].

وقد كتب في هذا السياق:

"الدين بريء من الاستبداد، بل هو منه براء، وما اختلط به إلا فسادًا في الاثنين"[2].

من هنا، فإن موقف الكواكبي من الخلافة لا يمكن أن يُفهم كعداء للدين، وإنما كدعوة لإعادة الدين إلى مكانته الحقيقية، بعيدًا عن أدوات الاستغلال السياسي والهيمنة.

لم تكن مواقف الكواكبي من الخلافة العثمانية نابعة من معارضة سياسية ظرفية، بل من فهم عميق لمقاصد الحكم في الإسلام. لقد رفض تحويل الخلافة إلى سلطة مطلقة، ودعا إلى إعادة بنائها على أسس عقلانية وشورية. وهو ما يجعل أفكاره في هذا الباب مساهمة مبكرة في بلورة مفهوم "الدولة الإسلامية الدستورية" قبل ظهور هذا المفهوم في فكر الإسلاميين المعاصرين.

[1] فهمي، مصطفى. "**الدين والسياسة في فكر الكواكبي**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد 21، 2020، ص 81.

[2] الكواكبي، عبد الرحمان. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. مرجع سابق، ص 13.

المبحث الثاني: موقفه من الاستبداد وصدى أفكاره

احتلت قضية الاستبداد موقعا محوريا في فكر الكواكبي، إذ اعتبره العائق الأكبر أمام أي مشروع إصلاحي. لم يكتف بوصف الاستبداد، بل قام بتحليل أسبابه وجذوره، ورصد آثاره المدمرة على الفرد والمجتمع. ثم طرح مجموعة من الحلول العملية التي يمكن أن تؤدي إلى تجاوزه. امتدت أفكاره في هذا المجال إلى ما بعد وفاته، فكان لها تأثير واضح على الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي.

المطلب الأول: الكواكبي ومشكلة الاستبداد

شدد الكواكبي على أن الاستبداد لا يزول بمجرد تغيير الحاكم، لأنه مرتبط بثقافة عامة وبنية سياسية واقتصادية متشابكة. بين أن الاستبداد يقضي على روح المبادرة، ويزرع الخوف بين الناس، ويفسد القيم الاجتماعية. لذلك اعتبر أن مقاومته تبدأ بإصلاح التعليم وتوسيع قاعدة الوعي الشعبي.

-تعريف الاستبداد عند الكواكبي

رأى الكواكبي أن الجهل السياسي وضعف الثقافة العامة أهم أسباب استمرار الاستبداد، إضافة إلى استغلال الدين لتبرير السلطة المطلقة، وغياب المؤسسات التي تضمن المحاسبة والمراقبة. اعتبر أن هذه العوامل تخلق حلقة مفرغة يصعب كسرها إلا بوعي جماهيري واسع.

قدّم الكواكبي تعريفًا واسعًا للاستبداد، لا يقتصر على مجرد التفرد بالسلطة، بل يشمل كل أشكال التسلط العقلي والديني والاجتماعي. ويقول في افتتاحية طبائع الاستبداد:

"الاستبداد لغةً هو غرور المرء برأيه، وعدم قبوله للنصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق، وهو بالاصطلاح استيلاء شخص أو جماعة على حقوق أمة بكاملها"[1].

ويتضح من هذا التعريف أن الاستبداد عند الكواكبي ليس ظاهرة سياسية فحسب، بل مرض شامل ينهش روح الأمة ويُفسد أفرادها. فهو يرى أن المستبد لا يتحكم فقط في الحكم، بل يُهيمن على التعليم، والدين، والاقتصاد، ويُفسد الذوق العام، ويُميت الإرادة الحرة[2].

[1] الكواكبي، عبد الرحمان. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. الطبعة الرابعة، دار الهلال، 2005، ص 5.

-الحلول التي قدمها لمواجهته

اقترح الكواكبي بناء نظام تعليمي حديث يربي الأجيال على قيم الحرية والمسؤولية، وإنشاء مؤسسات تمثيلية حقيقية، وضمان حرية الصحافة كأداة لكشف الفساد. كما دعا إلى تنظيم الحياة السياسية عبر قوانين عادلة تحد من سلطة الحاكم.

ركّز الكواكبي على أن الاستبداد في العالم الإسلامي اتخذ أشكالًا متعدّدة، أخطرها:

- الاستبداد السياسي: حيث يتم احتكار السلطة من طرف الحاكم، ويُقصى الشعب من أي مشاركة أو رقابة. وهذا النوع يُعدّ، في نظره، أصل كل أنواع الاستبداد الأخرى. يقول:

"الاستبداد أصل لكل فساد، يتولد منه فروع كثيرة مثل الجبن، والنفاق، والجهل، والتواكل".[1]

- الاستبداد الديني: وهو استغلال الدين لتبرير تسلّط الحاكم، وقد اعتبره الكواكبي من أخطر أشكال الاستبداد، لأنه يستغل العقيدة لتكبيل الفكر والضمير. يقول:

"الاستبداد الديني أخطر من الاستبداد السياسي، لأنه يُخدّر الشعوب باسم الطاعة والإيمان، ويجعلها ترى الظلم قدرًا إلهيًا"[2].

- الاستبداد التعليمي: ويقصد به سيطرة السلطات على المناهج والمعرفة بهدف تدجين العقول، وتعليم الخضوع بدل التفكير. لذا كان يرى أن مفتاح التحرر يبدأ من "تعليم العقل كيف يُفكر".[3]

---

[2] فهمي، مصطفى. "**الدين والسياسة في فكر الكواكبي**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد 21، 2020، ص 80.

[1] الكواكبي، عبد الرحمان. **طبائع الاستبداد**، مرجع سابق، ص 11.

[2] مرزوقي، الطاهر. "**الكواكبي ونقد الاستبداد الديني**"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 15، 2012، ص 93.

[3] عاشور، عبد القادر. "**التعليم والتحرر في فكر الكواكبي**"، مجلة الفكر التربوي العربي، العدد 10، 2016، ص 55.

-الاستبداد الاجتماعي: ويظهر في بنية المجتمع نفسها، حيث تُفرض الطاعة العمياء، وتسود ثقافة الخنوع، ويتراجع النقد الاجتماعي.

-تأثير أفكاره في العالم العربي والإسلامي

انتشرت أفكار الكواكبي بسرعة بين النخب المثقفة والصحفيين والمصلحين، خاصة في مصر وبلاد الشام، حيث وجدوا فيها إطارا فكريا لنقد الاستبداد والمطالبة بالإصلاح. كما أسهمت كتاباته في تشكيل وعي سياسي جديد لدى قطاعات واسعة من المجتمع.

- مدى انتشار أفكاره وتأثيرها

لعبت الصحف والمجالس الثقافية دورا كبيرا في نشر أفكاره، كما تم تداول كتبه على نطاق واسع. أثرى خطابه النقاش حول علاقة الدين بالسياسة، وأهمية وضع أنظمة حكم تستند إلى المشاركة الشعبية.

- مقارنته بمفكري عصره

رغم أن بعض مفكري عصره تناولوا موضوع الإصلاح، فإن الكواكبي تميز بتركيزه على تحليل الاستبداد بشكل مفصل، وربطه بشكل مباشر بمشكلات التخلف والانحطاط. كما تميز بوضوح الرؤية وجرأة الطرح، ما جعله من أبرز رموز الفكر السياسي النهضوي.

- آثار الاستبداد على الأمة

يُبيّن الكواكبي أن للاستبداد آثارًا مدمّرة تطال كل جوانب الحياة، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

- ❖ إفساد الدين: إذ تتحول الخطابة والفتوى إلى أدوات لخدمة السلطان، ويُكرَّس "فقه الطاعة" بدل فقه العدل والشورى[1].

[1] الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 130.

❖ قتل الإرادة الشعبية: لأن الشعوب المستَبد بها تفقد الحس بالمسؤولية، وتعيش في حالة من التبلّد السياسي والانصياع.

❖ انهيار التعليم والمعرفة: حيث يُمنع السؤال، ويُجرّم الاجتهاد، وتُشيطن الأفكار الحرة.

❖ تجذّر الجهل والخرافة: إذ تصبح الخرافة بديلاً عن العقل، والدروشة بديلاً عن النقد، ويُعاد إنتاج الجهل جيلاً بعد جيل.

وهذا ما يجعله يكتب:

"ما انتشر الجهل في أمة إلا وكان الاستبداد جذرًا له، وما تراجع العقل فيها إلا وكان المستبد حارسًا على أبوابه"[1].

-سبل مواجهة الاستبداد في فكر الكواكبي

رغم سوداوية وصفه للاستبداد، إلا أن الكواكبي لم يكن تيئيسيًا، بل دعا إلى سبل عملية للتحرر، من أهمها:

1. الوعي الشعبي: حيث أكّد أن النهضة تبدأ من "يقظة العقول"، وأن الجهل هو أقوى سلاح بيد المستبد [2].
2. نشر العلم والتنوير: وركّز على ضرورة استقلال العلماء والمفكرين عن السلطة، حتى لا يتحولوا إلى أدوات في يد الاستبداد.
3. بناء رأي عام حر: وطالب بتشكيل منابر للفكر الحر والصحافة المسؤولة، تكون لسانًا للشعب، ووسيلة للمحاسبة.[3]

[1] الكواكبي، **طبائع الاستبداد**، مرجع سابق، ص 19.

[2] بوحنية، قوي. "**عبد الرحمان الكواكبي: الإصلاح من الداخل**"، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 27، 2019، ص 75.

4. تحرير الدين من الاستغلال السياسي: ووجّه نداءً إلى رجال الدين، بأن لا يكونوا أداة في يد المستبد، بل حماة لقيم العدالة والشورى.

ويكتب في هذا السياق:

"العالم إذا جاور السلطان فسد، والدين إذا خضع للسلطة ذلّ، والفكر إذا تواطأ مع القوة صمت".[1]

لقد كشف الكواكبي، بعمق فكري نادر، أن الاستبداد ليس طغيان الحاكم فقط، بل ثقافة تُربّى في النفوس، ومؤسسات تُكرّس التبعية. لذا فإن مشروعه الإصلاحي يبتدئ من نقد هذه الثقافة، والعمل على استبدالها بعقل حر، وإرادة مستقلة، وإيمان فعّال بالحرية. وبذلك، فإن نقده للاستبداد يُعدّ من أهم إسهاماته في تحديث الفكر السياسي العربي.

المطلب الثالث: صدى أفكار الكواكبي في العالم العربي والإسلامي

يُعد عبد الرحمان الكواكبي من المفكرين الذين تجاوز فكرهم زمانهم ومكانهم، فخطابه السياسي والإصلاحي لم يكن مرتبطًا بظروف الدولة العثمانية فقط، بل كان يحمل من الوعي النظري والمنهجي ما جعله مرجعًا دائمًا في نقد السلطة، وتحليل آليات الاستبداد، وتصور ممكنات الإصلاح السياسي والديني في العالم الإسلامي. ومن ثمّ، فإن تتبّع صدى أفكاره هو تتبّع لمسار الفكر العربي الحديث، من لحظة تشكّله النهضوي إلى راهنه النقدي.

لقد توزعت تأثيرات الكواكبي عبر مستويات متعددة: الفكر الإصلاحي، **الحركات القومية**[2]، التيارات الإسلامية، الفكر العربي المعاصر، والجدل الأكاديمي في العلوم السياسية والفكرية. وسيتم استعراضها وفق هذا التقسيم المنهجي لتوضيح مدى اتساع أثره وعمق رؤيته.

---

[3] العروي، **عبد الله**. **الإيديولوجيا العربية المعاصرة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص 210.

[1] الكواكبي، طبائع الاستبداد، مرجع سابق، ص 24.

[2] الحركات القومية هي تيارات سياسية واجتماعية ظهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين، تسعى إلى تأكيد الهوية الوطنية لشعب ما

-تأثيره في التيار الإصلاحي النهضوي

شكّل فكر الكواكبي امتدادًا وتطويرًا للخط الإصلاحي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والذي مثّله رواد مثل رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده. غير أن ما ميّز الكواكبي هو انتقاله من الإصلاح الديني إلى الإصلاح السياسي الجذري، وتحديده "الاستبداد" كعقبة مركزية أمام نهضة الأمة، وهو ما عبّر عنه بقوله:

"الاستبداد يفسد العقل والدين والخلق، ويجعل الأمة كالأنعام، لا تميز بين الخير والشر".[1]

وقد اعتبره محمد رشيد رضا من أوائل من أدركوا أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من السياسة، لا من مجرد التعليم أو الفقه، إذ كتب عنه في مجلة المنار واصفًا إياه بـ"شهيد الحرية"[2].

أما شكيب أرسلان فقد رأى في الكواكبي "صوت الضمير العربي" في مواجهة التخاذل العثماني والانقسام الإسلامي، وامتدحه في كتاباته رغم اتجاهه القومي المحافظ .[3]

وقد كان كتاب طبائع الاستبداد مرجعًا شائعًا لدى النخبة المتعلمة في مصر وسوريا ولبنان، خاصة تلك المرتبطة بالصحافة والمؤسسات الثقافية في بيروت والقاهرة، مما جعله جزءًا من أدبيات الإصلاح السياسي والنهضة.

-أثره في الحركات القومية والتحررية

مع صعود الحركات القومية مطلع القرن العشرين، وجدت أفكار الكواكبي عن الحرية، والاستقلال، والهوية العربية صدى واسعًا. فقد تبنّى العديد من منظّري القومية العربية في العراق وسوريا

[1] الكواكبي، عبد الرحمان. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. دار الهلال، 2005، ص 6.

[2] رضا، محمد رشيد. "**عبد الرحمان الكواكبي ومشروعه الإصلاحي**"، مجلة المنار، المجلد 11، 1908، ص 12.

[3] أرسلان، شكيب. **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟**، دار ابن زيدون، بيروت، 2002، ص 73.

ومصر مقولات الكواكبي حول مركزية العقل، وضرورة مقاومة الاستبداد، واعتبار الأمة مصدرًا للشرعية[1].

وفي سوريا، كان لفكر الكواكبي تأثير مباشر على رواد الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي، أمثال **فارس الخوري**[2]، وأكرم الحوراني، الذين استلهموا كتاباته في صياغة خطاب وطني قائم على سيادة الإرادة الشعبية.[3]

كما أشار بعض مفكري حزب البعث إلى الكواكبي باعتباره من أوائل من دعا إلى تحرير الإنسان العربي من التبعية والجمود[4].

وفي مصر، أعيد نشر أعماله في سياق ثورة 1919، ثم لاحقًا خلال ثورة يوليو 1952، وإن لم يُحتفى به رسميًا بقدر ما تم الاحتفاء برفاعة الطهطاوي، وذلك بسبب نزعة الكواكبي التحررية المعارضة لكل شكل من أشكال السلطوية، سواء دينية أو عسكرية.

-الحركات الإسلامية والإصلاح الديني

رغم انتقاد الكواكبي الحاد لـ "الاستبداد الديني"، إلا أن كثيرًا من المفكرين الإسلاميين الإصلاحيين رأوا في مشروعه جسرًا بين الدين والسياسة الرشيدة. فقد استلهم حسن البنا في بداياته أفكار الكواكبي حول مركزية الأمة، وضرورة بعث الشورى، والربط بين مقاصد الشريعة والحرية السياسية[5].

---

[1] عاشور، عبد القادر. "**الكواكبي في الفكر القومي العربي**"، المجلة القومية للبحوث الاجتماعية، العدد 33، 2008، ص 101.

[2] فارس الخوري (1877–1962) سياسي ومفكر سوري بارز، تولى رئاسة الوزراء ورئاسة البرلمان. عُرف بدوره في استقلال سوريا ومشاركته الفعالة في المحافل الدولية دفاعًا عن القضايا العربية.

[3] بوحنية، قوي. "**قراءة في فكر الكواكبي السياسي**". مجلة الفكر السياسي المعاصر، جامعة الجزائر، العدد 7، 2020، ص 89.

[4] الحوراني، **أكرم**. **مذكرات أكرم الحوراني**. دار الطليعة، بيروت، ج1، ص 231.

[5] البنا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**. دار الشروق، القاهرة، 1992، ص 134.

كما استشهد راشد الغنوشي في عدد من محاضراته بكتابات الكواكبي، معتبرًا إياه "المجدد السياسي الأول" في العصر الحديث، وركّز على أهمية دعوته إلى الفصل بين قداسة الدين وممارسة السلطة.[1]

وقد وجد مشروع الكواكبي في كتابات محمد سليم العوّا وطه جابر العلواني أرضية مشتركة لتأصيل فقه سياسي يقوم على "الحرية كأصل شرعي"، بدل الطاعة المطلقة للسلطان.[2]

غير أن الكواكبي بقي محل نقد من التيارات السلفية التقليدية، التي اتهمته بمهاجمة العلماء، والميل إلى العقلانية الزائدة في تأويل النصوص.

–حضوره في الفكر العربي الحديث والمعاصر

بعد هزيمة 1967، وما أعقبها من مراجعات فكرية عميقة في العالم العربي، عاد الكواكبي إلى الواجهة بقوة، بوصفه مفكرًا سبق الجميع في التحذير من خطر الاستبداد، والتغوّل السياسي، وتقديس الزعيم، وتوظيف الدين في تبرير القمع. وفي هذا السياق:

خصص محمد عابد الجابري [3]فصلًا كاملًا للكواكبي في كتابه العقل السياسي العربي، وأثنى على تحليله العميق لبنية الاستبداد في التراث[4].

اعتبره حسن حنفي مثالًا على المفكر المسلم الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة، وكتب عنه قائلًا:

"كان الكواكبي فقيهًا بلا فقهاء، ومجددًا في زمن التقليد، وناقدًا بلا خوف".[5]

---

[1] الغنوشي، **راشد**. **الحريات العامة في الدولة الإسلامية**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص 76.

[2] العوّا، محمد سليم. **في النظام السياسي للدولة الإسلامية**. دار الشروق، القاهرة، 2001، ص 44.

[3] محمد عابد الجابري (1935–2010) مفكر وفيلسوف مغربي بارز، عُرف بمشروعه النقدي للعقل العربي. ركّز في مؤلفاته على قضايا التراث، العقلانية، والديمقراطية، وكان من أبرز رواد الفكر العربي المعاصر.

[4] محمد عابد الجابري،**العقل السياسي العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص 187.

[5] حسن حنفي، **الدين والثورة في مصر**. الجزء الثاني، دار التنوير، بيروت، 1989، ص 91.

أما **أدونيس**[1]، فقد استشهد به في كتابه الثابت والمتحول، مشيدًا بجرأته في نقد المؤسسات الدينية الرسمية التي تواطأت مع السلطة.

كما أصبح الكواكبي موضوعًا متكررًا في أطروحات الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسية والفكر العربي، بل ويُدرس حاليًا في جامعات مثل القاهرة، وبيروت، والرباط، والدوحة، بوصفه أحد مؤسسي الوعي السياسي الحديث في الإسلام.

إن صدى فكر الكواكبي في العالم العربي والإسلامي لم يكن عابرًا أو ظرفيًا، بل هو حضور مستمر لفكرة الحرية في مواجهة الاستبداد، وللدين في مواجهة التوظيف السلطوي، وللعقل في مواجهة الخرافة. فالكواكبي لم يُقدّم فقط نقدًا سياسيًا، بل أسّس لما يمكن تسميته "فقه التحرر"، ولذلك يبقى حاضرًا في كل مرحلة تعيد فيها الأمة مساءلة السلطة، والدين، والعقل.

[1] أدونيس (علي أحمد سعيد إسبر، وُلد 1930) شاعر ومفكر سوري معاصر، يُعد من أبرز رواد الحداثة الشعرية العربية. عُرف بتجديده في الشعر والنقد وبطرحه الفكري الذي يجمع بين التراث والحداثة.

خاتمة

خاتمة:

لقد توصلت في نهاية هذه المحاولة العلمية للغوص في فكر الكواكبي وأطروحته الإصلاحية إلى استخلاص الآتي:

-تشكّل فكر الكواكبي بفضل نشأته في بيئة علمية مرموقة في حلب، وتفاعله مع الواقع المتدهور للدولة العثمانية مع تزايد التدخل الأوروبي (البريطاني والفرنسي بشكل خاص) في الشؤون السياسية والاقتصادية للمنطقة.

—ربط الكواكبي بين الاستبداد السياسي وتدهور جميع جوانب الحياة (الاقتصادية، والدينية، والأخلاقية)، معتبرًا إياه أصل كل فساد.

-انتقد الخلافة العثمانية لكونها تحولت إلى أداة للقمع، ودعا إلى خلافة حقيقية تقوم على الشورى والعدل.

—قدّم حلولاً جذرية لمقاومة الاستبداد، أبرزها نشر الوعي الشعبي والتعليم الصحيح، مؤكداً أن الجهل هو أقوى سلاح بيد المستبد.

—استفاد من تجربته المهنية في الصحافة والإدارة، ومن رحلاته المتعددة، مما أكد له أن النضال الفكري هو السبيل الأنجع للتغيير .

—تجاوز أثره زمانه ومكانه، حيث استمرت أفكاره في إلهام أجيال من المصلحين، وبقيت مرجعًا نقديًا لتحليل ظاهرة الاستبداد في الفكر العربي.

— لم يكن فشل مشروع الكواكبي في تحقيق تغييرات جذرية على المدى القصير، على غرار الكثير من معاصريه مرتبطا بطوباوية أفكاره، بل يرجع ذلك إلى التحديات السياسية والاجتماعية وأنماط التفكير المجتمعي التي واجهتها النهضة العربية نفسها في أغلب البيئات التي تحركت فيها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. الكواكبي عبد الرحمان ، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، تق، أسعد السحمراني، ط 3، دار النفائس بيروت، 2006.

2. الكواكبي، عبد الرحمان. **أم القرى**. دار الفكر العربي، القاهرة، 1992،

ثانيا: المراجع

-أ/ الكتب

1. أبو ريدة، حسن: عبد الرحمان الكواكبي: **فكره السياسي والاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001،

2. أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب العربي لبنان، بيروت، دط،

3. أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1971.

4. أحمد، عبد الرحمان. **تاريخ مصر الحديث** . القاهرة: دار المعارف، 1990،

5. أرسلان، شكيب. **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟**، دار ابن زيدون، بيروت، 2002،

6. البنا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**. دار الشروق، القاهرة، 1992،

7. الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص 123.

8. الجابري، محمد عابد. **التراث والحداثة**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991،

9. الجابري، محمد عابد. **الخطاب العربي المعاصر**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985،

10. الجابري، محمد عابد. **العقل السياسي العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990،

11. جرجي زيدان، **تراجم مشاهير شرق في القرن 19**، ج 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012 .

12. جميل بيضون، **تاريخ العرب الحديث، ط1**، دار الأمل، الأردن، 1992، ص115.
13. الجوهري، أحمد: **الاستعمار البريطاني في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990،
14. حسن السعيد، **جدلية الدين والاستبداد**، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2000 ،
15. حسن السعيد، **رواد الإصلاح عبد الرحمان الكواكبي جدلية الاستبداد والدين** ط1، مكتبة مؤمن قريش، 2000،
16. حسين، فاطمة: **مصر في عصر الخديوي إسماعيل**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998،
17. حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث**، دار الجيل، بيروت، 1986،
18. حنفي، حسن. **الدين والثورة في مصر**. الجزء الثاني، دار التنوير، بيروت، 1989،
19. الحوراني، **أكرم. مذكرات أكرم الحوراني**. دار الطليعة، بيروت، ج1،
20. الخطيب، عبد الرحمان. **تاريخ بلاد الشام في العهد العثماني**. دمشق: دار الفكر، 1995،
21. الرافعي، عبد الرحمان: **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، 1962،
22. الرافعي، عبد الرحمان، **ثورة 1919: تاريخ مصر القومي من سنة 1919** إلى سنة 1921، ط4، دار المعارف، 1987،
23. زركلي، خير الدين. الأعلام: **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** . بيروت: دار العلم للملايين، 2002،
24. زكي صلاح أحمد، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001،
25. زهير الشاويش، **الكواكبي وطبائع الاستبداد**، دار القلم، دمشق، 1985،
26. سعد زغلول الكواكبي، **عبد الرحمان الكواكبي السيرة الذاتية**، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998،

27. الشاذلي، محمود: **النهضة الفكرية في مصر الحديثة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010،
28. الصويص، سامي: **الاقتصاد العثماني في بلاد الشام**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004،
29. طه، محمود. **الإصلاحات الإدارية في مصر في عهد محمد علي** . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985،
30. عباس محمود العقاد، **الرحالة "ك" عبد الرحمان الكواكبي**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012،
31. عباس محمود العقاد، **عبد الرحمان الكواكبي**، دار هنداوي للطباعة والنشر، 2014،
32. عبد الفتاح محمد الحلو، **عبد الرحمان الكواكبي: حياته وفكره، الهيئة المصرية العامة للكتاب**، القاهرة، 1993،
33. عبد الكريم، خالد: **تاريخ بلاد الشام في العصر العثماني**، دار النفائس، بيروت، 2005،
34. عبد الله محمد. **مصر تحت الاحتلال البريطاني** . القاهرة: دار الشروق، 1992،
35. عبد الله، محمد علي. الدولة العثمانية: **تاريخها السياسي والإداري** . بيروت: دار العلم للملايين، 2008،
36. العروي، عبد الله. **الإيديولوجيا العربية المعاصرة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995،
37. عز الدين إسماعيل، **فكر النهضة العربية**، دار العودة للنشر والتوزيع، لبنان، 1979،
38. العقاد، عباس محمود. **حياة محمد علي الكبير** . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1960،
39. علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798–1914)**، ط3، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987،
40. علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب، في عصر النهضة، 1798، 1814**، الأهلية للنشر والتوزيع، ت.ط، 1975، 1978 ،1981، 1983

41. عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (1516–1922)**، دار النهضة، بيروت، 1984

42. عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام الغزالي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1985،

43. العوّا، محمد سليم. **في النظام السياسي للدولة الإسلامية**. دار الشروق، القاهرة، 2001،

44. الغنوشي، راشد. **الحريات العامة في الدولة الإسلامية**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993،

45. غنيم، عبد الرحمان. **الاحتلال البريطاني لمصر: دراسة تاريخية** . القاهرة: دار الفكر العربي، 1978،

46. فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1997،

47. كامل سلمان الجبوري، **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى 2002م**، الطبعة 01، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء 05، 2003،

48. ماجدة حمود، **فارس النهضة والأدب عبد الرحمان الكواكبي**، اتحاد الكتاب العرب، 2001،

49. محروس عاصم، **دور الطلبة في ثورة 1919** .الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990،

50. محمد بديع شريف، **زكي المحاسني، أحمد زكي عبد الكريم**، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ط2، دار إقرأ، بيروت، 1984،

51. محمد جمال باروت، **عبد الرحمان الكواكبي النهضة والإصلاح**، دار الفكر، سوريا، 1994،

52. محمد جمال باروت، عبد الرحمان الكواكبي: **التراث – الحداثة – الإصلاح**، دار الفكر، دمشق، 2006،

53. محمد جمال طحان، **أعمال الكواكبي غير الكاملة**، سورية، 1984،

54. محمد جمال طحان، **الرؤى الإصلاحية للمفكر النهضوي عبد الرحمان الكواكبي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007،

55. محمد عبد الرحمان برج، ، **أعلام العرب، عبد الرحمان الكواكبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972،

56. محمد عمارة، الكواكبي **شهيد الحرية ومجدد الإسلام**، ط3، دار الشروقن القاهرة، مصر، 2007،

57. محمد عمارة، **تيارات الفكر الإسلامي**، ط2، دار الشروق، القاهرة 1981م،

58. محمد عمارة، **عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام**، دار الشروق، القاهرة، 1998،

59. محمد فريك بك المحامي، **تاريخ الدولة العلوية العثمانية، تحقيق: احسان تقي**، دار النفانس، بيروت، ط1، 1981،

60. ناصر الدين الأسد، **الكواكبي حياته وفلسفته السياسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990،

61. ناصيف نصار، **الفكر العربي في العصر الليبرالي**، دار الطليعة، بيروت، 1978،

62. نقولا زيادة، **أعلام عرب محدثون من القرن الثامن عشر والتاسع عشر**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994،

63. يوسف، ناصر: **النهضة الثقافية في بلاد الشام**، دار الأوائل، دمشق، 2003،

-ب/ المجلات والمقالات

1. بوحنية، قوي. "**عبد الرحمان الكواكبي: الإصلاح من الداخل**". مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 27، 2019،

2. رضا، محمد رشيد. "**عبد الرحمان الكواكبي ومشروعه الإصلاحي**"، مجلة المنار، المجلد 11، 1908

3. زكي الميلاد، **حركة الإصلاح في العصر الحديث عبد الرحمان الكواكبي** مجلة فصلية تدرس شؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجديد الحضاري، ع ،37 ، صدرت عن منتدى للكلمة المملكة السعودية 2002م،

4. عاشور، عبد القادر. "**التعليم والتحرر في فكر الكواكبي**"، مجلة الفكر التربوي العربي، العدد 10، 2016،

5. عاشور، عبد القادر. "**الكواكبي في الفكر القومي العربي**"، المجلة القومية للبحوث الاجتماعية، العدد 33، 2008،

6. عاشور، عبد القادر. "**عبد الرحمان الكواكبي ورؤيته الإصلاحية**"، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 89، 2014،

7. عبد القادر، محمد. "**الفكر السياسي عند عبد الرحمان الكواكبي**". المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 13، 2010

8. فهمي، مصطفى. "**الدين والسياسة في فكر الكواكبي**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد 21، 2020،

9. مرزوقي، الطاهر. "**الكواكبي ونقد الاستبداد الديني**"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 15، 2012،

–ج/ الأطروحات.

1. قاري ياسر بن عبد العزيز محمود، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية** ،أطروحة دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ، السعودية،2001

–د/ المواقع الالكترونية

1. محمد زكريا توفيق "**الإمام" محمد عبدة رائد من رواد الإصلاح والنهضة المصرية الحديثة** "، صحيفة الحوار المتمدن ، عدد 3182 https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234871

2. نرمين خفاجي، **تعاليم السيد جمال الدين في وجوب إصلاح الدنيا والدين**، مجلة الحوار المتمدن، عدد 2596

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=166569

الـــمـــــــلاحق

الملحق رقم 1 : صورة للعلامة عبد الرحمان الكواكبي

المصدر

https://www.facebook.com/photo/?fbid=1221748584920332 71&set=a.122100467006033271

الملحق رقم 2 :صورة الغلاف لأشهر كتاب لعبد الرحمان الكواكبي.

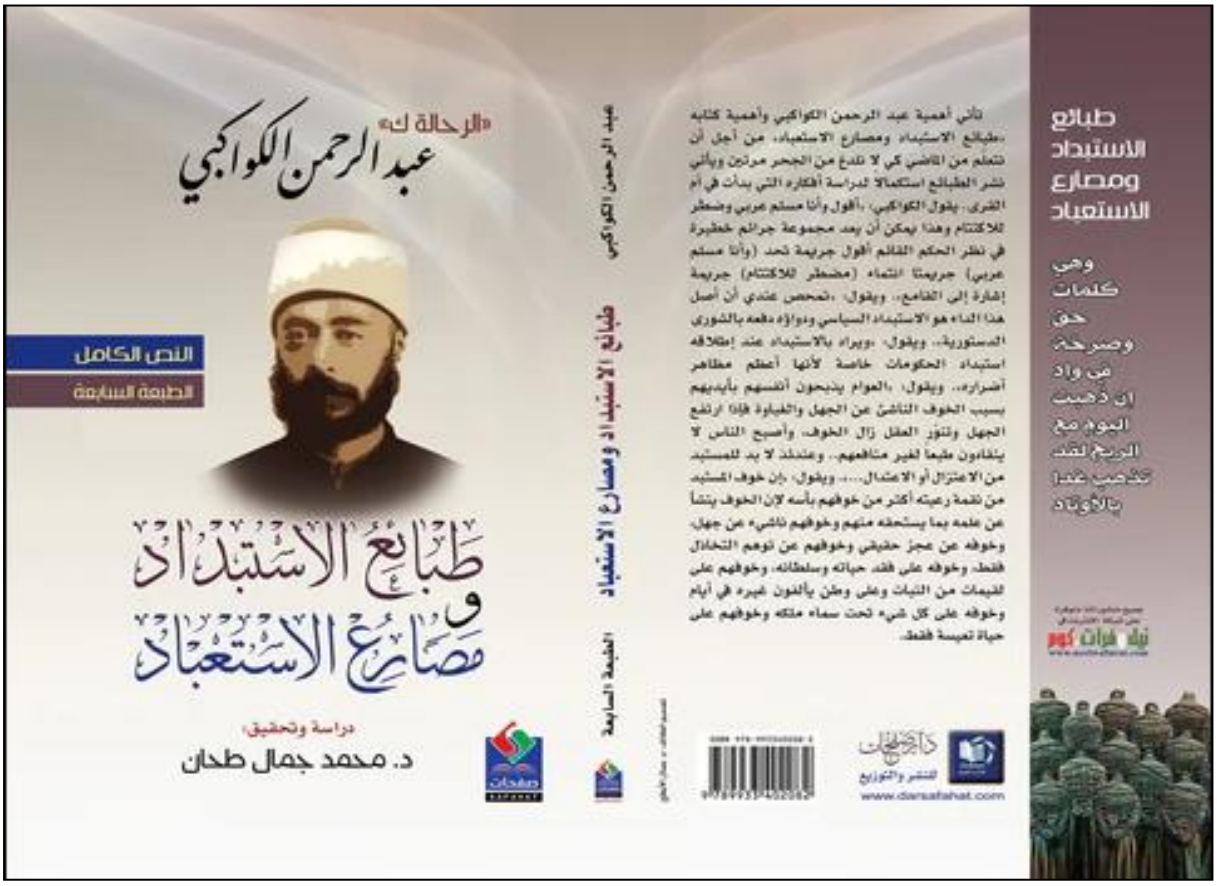

المصدر :https://www.jadaliyya.com/Details/33323

الملحق رقم 3 :صورة لوثيقة تعيين عبد الرحمان الكواكبي في منصب الإمامة.

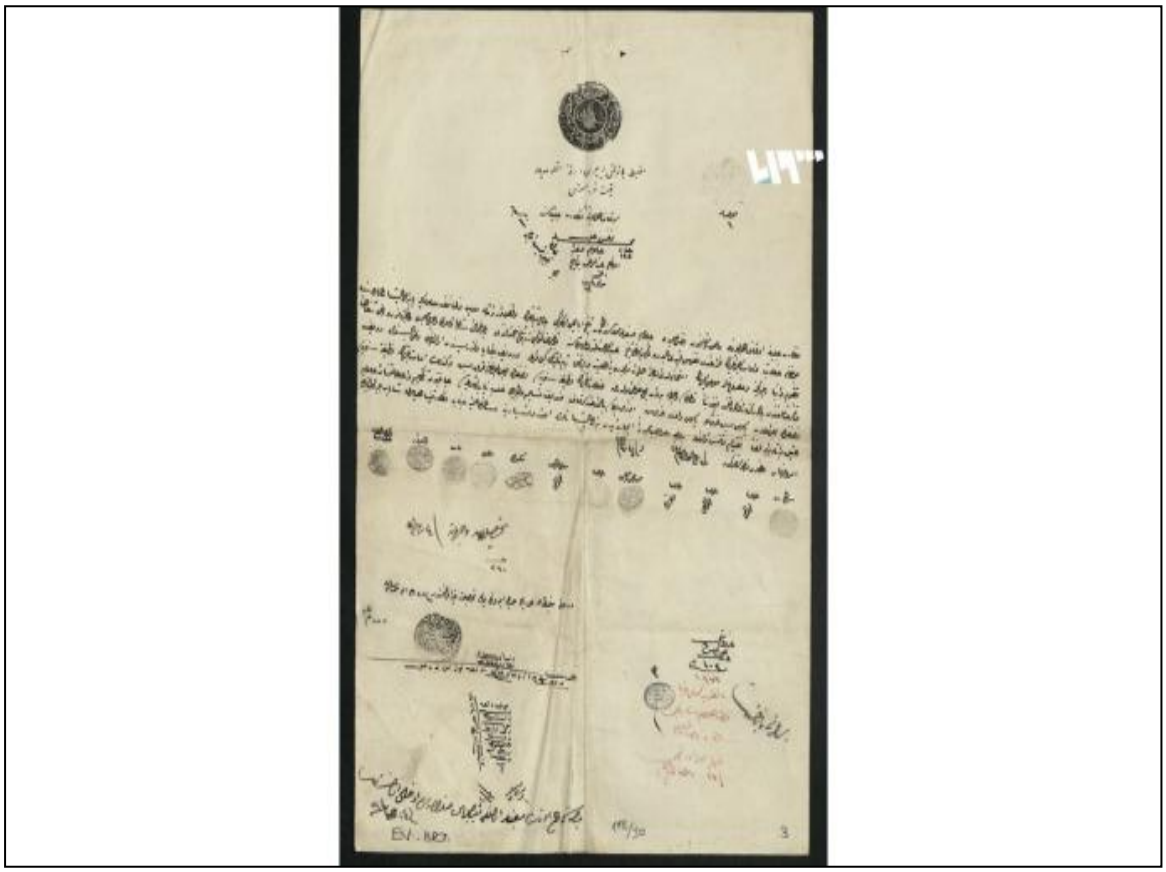

المصدر :سوريا في الأرشيف العثماني. عبد الرحمان الكواكبي في وثائق السلطنة مقال في موقع سورية في الأرشيف، موقع: https://www.syria.tv/

الملحق رقم 4 : صورة لوثيقة سجن الكواكبي ورفاقه.

المصدر :سوريا في الأرشيف العثماني، المرجع السابق.

الملحق رقم5 : تكريم قاضي بغداد محمد نجم الدين للكواكبي برتبة مجيدية.

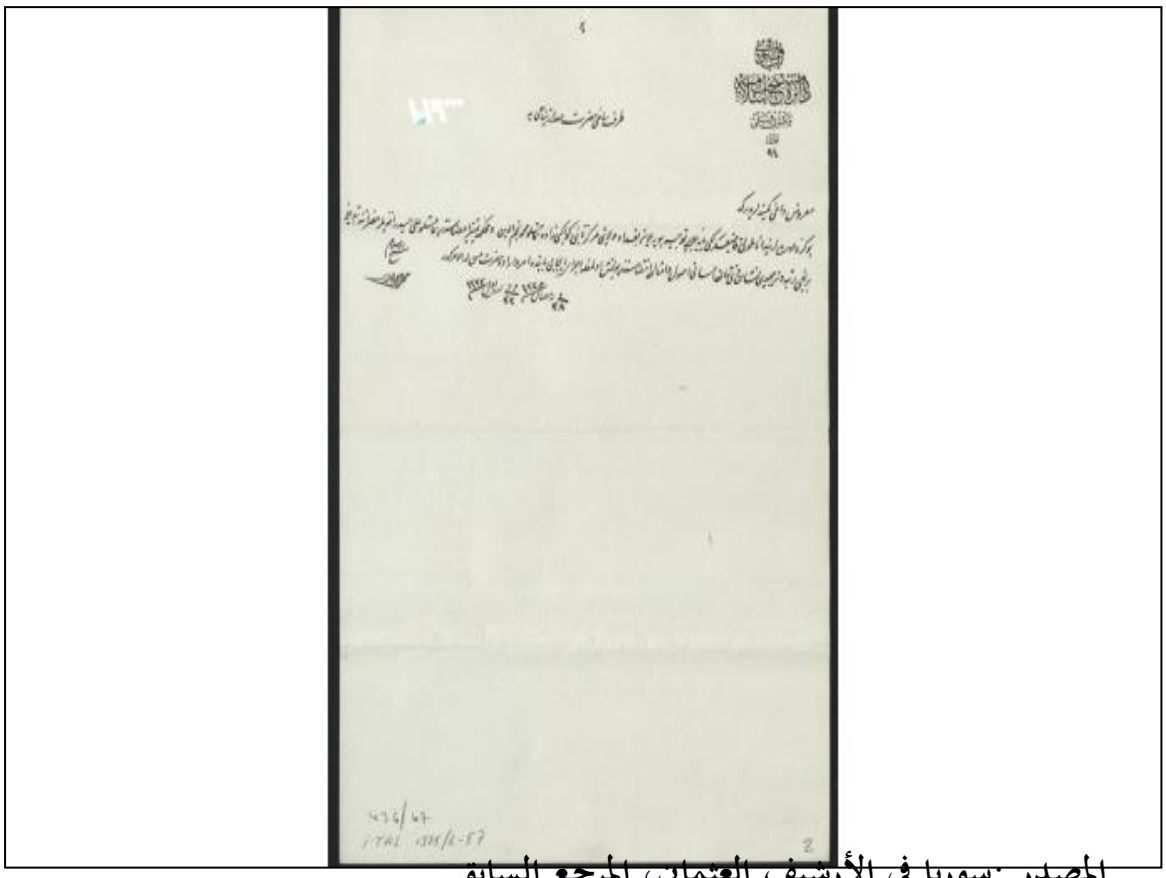

المصدر :سوريا في الأرشيف العثماني، المرجع السابق.

الفهـــــرس

الاهداء 5

شكر وتقدير 6

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 2

المبحث الأول: الواقع السياسي والاقتصادي في بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 3

المطلب الأول: النظام السياسي في بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 4

المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي في بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 10

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 15

المطلب الأول: البنية الاجتماعية في بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 16

المطلب الثاني: الحياة الثقافية والفكرية في بلاد الشام ومصر عصر الكواكبي 17

الفصل الثاني: حياة عبد الرحمان الكواكبي 28

المبحث الأول: النشأة والتكوين العلمي 29

المطلب الأول: مولده ونشأته الاجتماعية 30

المطلب الثاني: تعليمه وتكوينه الفكري 33

المبحث الثاني: مسيرته المهنية ورحلاته 37

المطلب الأول: وظائفه ومسؤولياته 37

المطلب الثاني: رحلات عبد الرحمان الكواكبي ووفاته 41

الفصل الثالث: أطروحة عبد الرحمان الكواكبي في الإصلاح السياسي 46

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح السياسي عند الكواكبي 47

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح ودوافعه 47

المطلب الثاني: موقفه من الخلافة الإسلامية 50

المبحث الثاني: موقفه من الاستبداد وصدى أفكاره 53

المطلب الأول: الكواكبي ومشكلة الاستبداد 53

المطلب الثاني: صدى أفكار الكواكبي في العالم العربي والإسلامي 57

خاتمة: 63

قائمة المصادر والمراجع 64

***الـمـــلاحق* 71**

الملخص:

تتناول هذه المذكرة المشروع الإصلاحي لعبد الرحمان الكواكبي، باعتباره أحد أبرز مفكري النهضة العربية في القرن التاسع عشر. انطلقت الدراسة من إشكالية: كيف صاغ الكواكبي رؤيته للإصلاح السياسي؟ وما أثرها في الفكر العربي؟

اعتمد البحث على المنهج الوصفي لتوضيح السياق السياسي والاجتماعي لبلاد الشام ومصر في ظل ضعف الدولة العثمانية والهيمنة الاستعمارية، والمنهج التحليلي للكشف عن أفكاره كما وردت في كتابيه *طبائع الاستبداد* و*أم القرى*.

أبرز الكواكبي أن الاستبداد أصل الفساد والتخلف، ودعا إلى مقاومته عبر الوعي، الشورى، الحرية، والعدالة الاجتماعية، رابطًا بين الإصلاح السياسي والاقتصادي. وتميز أسلوبه بجمع البلاغة مع النقد والسخرية، ما جعله قريبًا من النخب والجماهير.

خلصت المذكرة إلى أن فكر الكواكبي أسّس لرؤية نهضوية عميقة ما تزال مؤثرة في النقاشات الفكرية والسياسية المعاصرة، وجعلته أحد أعمدة الإصلاح العربي الحديث.

Abstract

This dissertation explores the reformist project of ʿAbd al-Raḥmān al-Kawākibī, one of the foremost Arab thinkers of the nineteenth-century Nahda. It addresses the central question: *How did al-Kawākibī articulate his vision of political reform, and what impact did it have on Arab thought?*

The study employs a descriptive method to contextualize the political and social conditions of Bilād al-Shām and Egypt under Ottoman decline and colonial domination, alongside an analytical method to examine his ideas as articulated in *The Characteristics of Despotism* and *Umm al-Qurā*.

Al-Kawākibī identified despotism as the root of corruption and backwardness, advocating its resistance through awareness, consultation (shūrā), liberty, and social justice, while linking political reform to economic and social emancipation. His style combined eloquence, critique, and satire, rendering his thought accessible to both elites and the public.

The dissertation concludes that al-Kawākibī laid the foundations of a profound reformist vision that remains influential in contemporary intellectual and political debates, positioning him as a key figure of modern Arab reformism.